سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (36) | 27 / 5 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

14 شهرا على اندلاع الثورة السورية وقتل الأطفال مازال مستمراً

في ذكـــرى حمـــزة الخطـــيب..

مجزرة جديدة في الحولة تحصد عشرات الأطفال

14 شـهرا على اندلاع الثورة السورية لكـن شـرارتها الأولـى التـي أشـعلت أتون غضب السـوريين جاءت بعد ان قتلت قوات الأمن السـوري الطفل حمزة الخطيب، الذي خرج من بلدته فـي درعا ليجلب القليل من المـاء والـزاد لأهالـي مدينتـه المحاصرين فعاد جثة ممزقة.

حمزة طفل من مدينة درعا السورية، لم تمهلـه قوات الأمن لان يستنشـق هواء الحريـة، ولم ينتظـره الموت لكـي يعيش ربيع بلاده الذي لم يحل بعد.

في مثل هذا اليوم من العام المنصرم، تسلمت أسرة حمزة جثته ممزقة وقد ظهرت عليهـا علامـات التعذيـب والتمثيـل، وثلاث رصاصـات اخترقـت جسـده الغـض، كان في الثالثة عشـر مـن عمره، يحـدوه الأمل بـأن يكـون يومـا شـرطيا يتباهـى ببدلته العسـكرية، لكنه أدرك مبكرا أن الحلم كان رديـا، فيما كانـت الحقيقـة ملطخة بدماء الآلاف ممن نادوا بالحرية.

كمـا هـو البوعزيـزي فـي تونـس، وخالـد سـعيد فـي مصـر، تحولـت ذكـرى حمـزة الخطيب إلى رمـز انتفضت من أجله درعـا وباقي المدن السـورية، واهتز العالم للطريقـة التي قتل فيهـا ومثل بجثته، كما تأثرت شوارع وحارات سوريا.

كسـرة خبز وما تيسـر من الـزاد حملها حمـزة من بلدته الجيزة في محافظة درعا مع آخرين في التاسع والعشرين من أبريل العام الماضي، لسد جوع أهالي مدينته التي أنهكها الحصار من جيش النظام وقواته، فخرج ولم يعد سوى جثة بتوقيع من أيدي النظام.

رقـد حمـزة تحـت التـراب واسـتمرت دماء القتلى تسـيل فوقـه، فحمزة لم يكن أول الأطفال ولا آخرهـم ممن يدفع فاتورة الحريـة، فاتـورة لـم تـدرس فـي مقاعـد الدراسـة، لكنها باتـت ضمن منهـج الموت الذي تعتمده قوات النظام.

في ذكرى حمزة الخطيب ارتكب النظام مجزرة جديدة فـي الحولة في ريف حمص، انضمت إلى سلسـلة المجازر السابقة، لكن المفارقـة هذه المرة أنهـا وقعت تحت أعين المراقبيـن المنتشـرين في البـلاد. ووصل عدد الضحايا إلى 106 قتيلاً و50 طفلاً.

وأظهـرت الصـور فظاعة المشـهد، لا سـيما وأن معظـم الضحايـا مـن الأطفال والنسـاء، كما قضى بعض الضحايا شـنقا، والبعـض الآخـر جـراء القصـف المدفعـي العنيف.

وتعليقـاً علـى هـذه المجـزرة، أكـد الدكتور برهان غليون المستقيل من رئاسة المجلس الوطني السوري، أنه "أمام الهزائم المتكررة التي يعيشها النظام مقابل الجيش الحـر البطل، تقوم شـبيحة النظام بعمليات انتقاميـة كان آخرها هذه المذبحة. وناشـد المجتمـع الدولـي والأمـم المتحـدة تنظيم حملة دولية كبرى لوقف هذه المجازر ووضع حد لجرائـم النظـام وعقد جلسـة لمجلس الأمن لاتخـاذ الإجـراءات اللازمـة والفورية و"اسـتخدام القوة الرادعة لأن هذا النظام لا يفهم سـوى لهجة العنف والقوة". كما أشـار إلـى أنـه لا يمكن لعنـان زيارة دمشـق غدا وكأن شيئاً لم يكن ودون أن يرف له جفن.

من جهته، قال هادي العبد اللّه الناطق باسـم الهيئة العامة للثورة السورية، إن ما يحصـل ليـس مجـزرة واحدة، بل سلسـلة مجـازر مسـتمرة، إذ في كل حين تكتشـف عائلة جديـدة تم ذبحها بالسـكاكين، وأكد أن القصـف المدفعـي العنيف مسـتمر منذ السـاعة الواحدة ظهراً وحتى السـاعة، دون أن يهـدأ. ولفت إلـى أن القذائـف المدفعية تتسـاقط على المنطقة كالمطر، مؤكداً أن عدد الضحايا مرشح إلى الارتفاع.

وروى في التفاصيل أن مجموعة من شبيحة الأسـد، معظمهم مـن القرى الموالية لنظامه، قاموا بذبح الأطفال والنسـاء، إلا أن الناشـطين اسـتطاعوا إنقاذ وتهريب بعـض العائلات، فيما البعض الآخر لايزال مصيره مجهولاً.

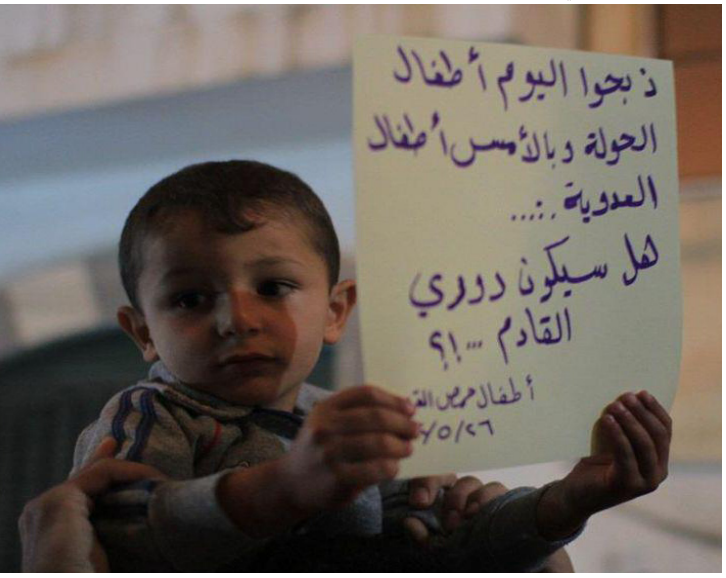

مؤرخ بلجيكي يتحدث عن جرائم النظام بالسجون

على الرغم من وجود مئات الشهادات مـن بعـض المؤرخيـن والإعلاميين والباحثيـن الذيـن ينحدرون مـن أصول أجنبيـة على مـا ارتكبه النظام السـوري مـن جرائـم بحـق الشـعب المنتفض ما زال الغرب ومعه كافة مؤسساته الدولية والحقوقيـة يفكر بمدى صحـة ما يرويه هؤلاء الشهود.

وآخر تلك الشهادات جاءت عبر موقع صحيفة "لوفيجارو" الفرنسية التي نشرت قصـة المـؤرخ البلجيكي بيار بيسـينان المتخصـص فـي قضايا العالـم العربي الـذي لـم يصدق بأنـه سـيخرج حيا من معتقلات النظام السوري بعد أن اعتقلته أجهزة الأمن السـبت الماضـي وبات قاب قوسـين أو أدنى من الموت المحتم، لكن يبدو العناية الإلهية كتبت له عمراً جديداً فتـم احتجـازه في سـجنين فـي حمص ودمشـق لعدة أيام قبل ترحيله إلى بلاده الأربعـاء الماضي بتدخل بلجيكي، ليروي حكايـة اعتقالـه التي تؤكد علـى جرائم النظـام بحـق معتقلين ضربـوا وعذبوا بالكهرباء حتى الموت.

المـؤرخ البلجيكـي حسـب روايتـه أعتقل وهـو يحاول دخـول مدينة تلكلخ للاشـتباه بانتمائه للمخابرات الفرنسية، وزج به بسجن في حمص.

يقـول المـؤرخ: «كانـوا يجلبـون المعتقليـن يربطونهـم فـي الممـرات يعذبونهم بالكهربـاء ويضربونهم حتى المـوت، لقـد رأيـت كثيرين عذبـوا حتى المـوت فـي الممـرات، في البدايـة كانوا يغلقـون الأبواب بعد ذلك تناسـوا الأمر، فظننـت بعد أن تركوني أشـاهد طريقة القتـل والتعذيـب حتـى المـوت أن أمري قد انتهـى، ولن يتركوني أخـرج حيا من هنا».

وعـن طريقـة اسـتجوابه يوضـح المؤرخ: «رجال الأمن كانوا يسـتجوبوني فـي حجرة فيهـا طاولة عليها أبـر وبقايا أظافـر وبقع مـن الدم، وفـي الليل كنت أتعرض للضرب والتعذيب».

بعد أيام من اعتقاله في حمص نقل إلى سـجن في دمشـق، ومن هناك نجح بمسـاعدة أحـد المعتقلين فـي الاتصال عبـر هاتف جـوال بالسـلطات البلجيكية التي نجحت في التفاوض مع النظام على إطلاق سراحه.

يؤكد المؤرخ الذي زار سـورية أكثر مـن مـرة: «أن نظـام الأسـد يعمل على سـحق المعارضـة بالعنف، وفـي الظرف الحالـي لن يتغير شـيء في سـورية مع نظام الرعب الحاكم ما لم نتدخل». طبعا هنا يقصـد المـؤرخ الغرب الـذي ما زال يفكـر بصحة مـا يجري في سـورية من جرائم فظيعة بحق المتظاهرين؟؟!.

الملفـت فـي روايـة المـؤرخ بيـار بيسـينان اعترافه أنه كان في الأصل من مؤيدي نظام الأسد، وأنه كان يدعو دائما فـي مدونته من الحذر مـن الدعاية التي تنشرها المعارضة السورية حول ارتكاب النظـام جرائم ضد شـعبه، ولكن إقامته الأخيـرة جعلتـه يبـدل موقفـه إذ يقول معترفـا: «لقد أخطـأت وعلينا خاصة في حالة كهذه أن نعترف بأخطائنا».

والسـؤال الـذي يتبـادر للذهن من خـلال روايـة المـؤرخ البلجيكـي هو: إن كانت منظمة العفو الدولية تتهم بشـكل مباشـر عبر تقريرها الأخير نظام الأسد بتعذيب معتقلين ومتظاهرين سـلميين حتى الموت وهي أعمال قد تكون بمثابة جرائم ضـد الإنسـانية حسـب المنظمة المذكـورة ذاتهـا، وإن كان تقريـر بعثـة المراقبيـن التابعة للأمـم المتحدة تؤكد أن قـوات نظـام الأسـد ترتكـب أغلبيـة الاعتداءات على حقوق الإنسان وتمارس التعذيـب حتى بحق الأطفـال، وإن جميع التقارير التي كتبها الباحثون والإعلاميون والمؤرخـون أكـدت علـى ارتكابـه تلـك الجرائـم فإلـى متـى سـينتظر الشـعب السـوري هذه الهيئات لكي تحدد موقفها الصحيح من النظام وجرائمه؟؟؟!.

الكاميرا في مواجهة القاتل

ضجت شبكة الإنترنت بمقاطع الفيديو التوثيقية منذ بداية الثورة السورية، محاربة بذلك التعتيم الإعلامي الذي فرضه النظام على وسائل الإعلام كافة. فكانت هذه الفيديوهات الشاهد الرئيسي على جرائم النظام، والمادة الخبرية الأهم للمحطات التليفزيونية ووسائل الإعلام الأخرى، والراوي الأمثل لقصص التعذيب التي يقوم بها الأمن السوري وأتباعه تجاه الشعب السوري الأعزل. استخدم الناشطون في تصوير المقاطع التوثيقية كل الوسائل المتاحة بين أيديهم من الهاتف المحمول إلى الكاميرات الصغيرة، متحدين بذلك نظاماً قمعياً اعتبر ما يقومون به أخطر من المقاومة المسلحة، فقام بملاحقتهم واعتقالهم والتنكيل بهم.

لكن هذا لم يثن عزيمة الثوار الذين اعتبروا أنّ مهمتهم الرئيسية لمواجهة النظام السوري هي وضع مرآة أمام وجهه، ليعكسوا عبرها للعالم أجمع هذا الكم الكبير من الوحشية والاستبداد، الذي تمثل في عمليات الاعتقال والمداهمات والقتل والقصف وحوادث التعذيب بحق المتظاهرين السلميين.

ولأن الإعلام السوري الرسمي حاول بكل الطرق خلق صورة أخرى للأحداث وواقعاً مختلفاً ضمن أطروحة المؤامرة التي اخترعتها الحكومة، فقد قام العديد من المخرجين، ورغم الملاحقة الشرسة، بتصوير أفلام تسجيلية عن المناطق الساخنة في سوريا، روت حكايات المناطق والبلدات المنكوبة، قصص أشخاص عاشوا الحراك الشعبي فيها، وكيف تعرضوا لكافة أنواع التعذيب. وإن كانت بعض هذه الأفلام لا ترتقي إلى قواعد السينما الوثائقية الاحترافية إلا أنها كانت بداية جديدة لخلق قواعد أكثر مرونة للفيلم الوثائقي، محكومة بالظروف المحيطة والمعدات البسيطة.

من هذه الأفلام "نشيد البقاء – الوعر" الذي صورته مخرجة سورية بشكل سري في منطقة الوعر في حمص وذلك في شهر رمضان 2011. ويروي الفيلم شهادات من أهل المدينة ولقاءً خاصاً مع حارس مرمى منتخب الشباب السوري عبد الباسط الساروت الذي قاد مظاهرات مطالبة بإسقاط النظام، مؤلفاً أغانٍ وألحان أصبحت هتاف المتظاهرين في كافة المناطق السورية.

أما في حماة، فقد قام أحد الناشطين بتصوير فيلم "23 دقيقة تهريب" الذي أخذ شكل برنامج عن الثورة السورية، تم تصويره قبيل اقتحام الجيش للمدينة. ودخل صانع الفيلم إلى حماة مسلحاً بكاميراته، متحدياً عيون القناصة، ليحكي قصص الناشطين هناك.

وفي الأشهر الماضية أخذت صناعة الفيلم الوثائقي الإبداعي منحى آخر أكثر احترافية وخصوصية، وذلك لأن صانعي هذه الأفلام أدركوا أن ما يقومون به ليس مجرد مادة خبرية تعرض في المحطات الإخبارية، بل وثيقة سيحتفظ بها التاريخ في ذاكرته.

مثال على ذلك فيلم "دوار الشمس – الرستن" الذي قامت بتصويره إحدى المخرجات السوريات متحدية الحصار والقصف الذي تعرضت له المنطقة من قبل الجيش السوري بالدبابات والأسلحة الثقيلة. ويحكي الفيلم قصص استهداف واغتيال الناشطين وتعذيب المرضى في السجون والمشافي، كما يسلط الضوء على شهادات لجنود انشقوا عن الجيش السوري. يصور "دوار الشمس – الرستن" جنازة لملازم أول انشق في اليوم السابق لاستشهاده، ومظاهرة مسائية تحية له ولأهله، ونصرة لحماة المحاصرة.

وقد لفتت الثورة السورية منذ يومها الأول اهتمام الصحفيين والمخرجين الأجانب، الذين توجهوا إلى سورية ليكونوا جزءاً من الحراك، وليقفوا مع الشعب السوري في ثورته من أجل الحرية والكرامة. فدخل الكثير منهم سراً، ليساعدوا في نقل صوت الناشطين إلى وسائل الإعلام التي يعملون بها. ورغم الخطر الذي تعرضوا له، والذي وصل إلى درجة القتل أحياناً، فقد قاموا بتصوير أفلام عديدة ضجّت بها وسائل إعلام أجنبية، واستخدمتها منظمات تدافع عن حقوق الإنسان كوثائق ضد النظام السوري.

وكان فيلم "سورية في جحيم القمع" للصحفية الفرنسية صوفيا عمارة، والذي صورته في الشهر الأول للثورة، مثال على ذلك. يتنقل الفيلم بين المحافظات ليروي قصص أهالي المدن السورية المحاصرة. فقد تسللت صوفيا عمارة إلى سوريا واتجهت إلى حمص وصورت فيها المظاهرات وأساليب التحضير لها، كما التقت في الرستن بالضباط الذين أعلنوا تشكيلهم الجيش الحر، وذهبت بعدها إلى حماة ورصدت هناك وحشية النظام في قصفه للمدنيين، والتقت بعائلات ضحايا 1982 الذين جرى دفنهم في الحدائق العامة. أصبح هذا الفيلم والكثير غيره جزءاً من منظومة الحراك الثوري، تتراكض لعرضها المحطات الإخبارية، والشبكات الاجتماعية على الإنترنت.

إنّ هذه التجارب غيرت مفهوم السينما الوثائقية. فالمخرجون السوريون اليوم يبتكرون طرقاً وأساليب جديدة لتواكب نضال الشعب ضد نظام قمعي حكمهم طوال أربعين عاماً. إنها بداية جديدة للمخرجين والمصورين ليخرجوا من قوقعة الترهيب التي قبعت على عدساتهم سنين طويلة، ونبضاً جديداً لسينما تسجيلية غيبت طويلاً بين رفوف مكاتب الرقابة.

عن موقع: The Damascus Bureau

أوجاع وطن

الشعب السوري ما بينذلّ

■ بكر صدقي

استعصاء الوضع في سوريا، بعد انقضاء عام على بداية ثورتها الشعبية، هو العلامة البارزة اليوم في ربيع الثورات العربية. يبدو المشهد قاتماً لمن يراقب المجزرة الكبرى التي يرتكبها النظام العائلي الحاكم كل يوم، من غير أن يردعه رادع. كأن هذه الطغمة المجرمة، في دفاعها عن بقائها، تدافع في الوقت نفسه عن كل أعداء الحرية. بل كأنها تنكّبت مهمة وأد ثورات الحرية في بلاد العرب، نيابةً عن جميع الأنظمة التي ارتعدت خوفاً مذ رأت شبح الحرية المقلق الذي ظهر بدايةً في تونس وأخذ يتنقل من بلد إلى آخر.

قالوا إن الحالة السورية تختلف عن حالة الثورات في البلدان العربية الأخرى. هذا صحيح في نقطة واحدة على الأقل: تفوّقت الطغمة الحاكمة في همجيتها على جميع قريناتها. كذا في كذبها، وفي لامبالاة العالم أمام فظاعاتها. الحالة السورية مختلفة أيضاً في هذه الملحمة البطولية لصمود ثورتها برغم كل هذا التنكيل.

إذا كان ما يجمع الثورات الخمس الكبرى هو اندلاعها في جمهوريات تحكمها طغم عائلية فاسدة، فسوريا هي البلد الوحيد الذي تحقق فيه التوريث فعلاً، مقابل مشاريع التوريث التي طوتها ثورات شعوبها في الجمهوريات الأخرى. لذلك لا أغامر كثيراً إذا قلتُ إن مصير ثورات الحرية في بلاد العرب يتوقف اليوم على نجاح الثورة السورية أو إجهاضها. في هذا المعنى، فالشعب السوري الثائر من أجل حريته وكرامته، يخوض، في الوقت نفسه، معركة الحرية الأفدح ثمناً عن كل الشعوب العربية. انتصار الثورة السورية سوف يعني استئناف موجة الثورات التي تلكأت عند أبواب دمشق، وإخمادها سوف يعني ضياع فرصة تاريخية لن تتكرر ليمسك العرب بمصيرهم مرةً واحدة وأخيرة.

استفادت النزعات النكوصية في البلدان العربية التي نجحت فيها الثورة في إطاحة طغمها العائلية الحاكمة، من استعصاء الثورة السورية المديد، فأخذت تعمل على استعادة زمام المبادرة من جديد. هذا ما نتابعه في تونس ومصر وليبيا واليمن. في المقابل، الخط المتعرج الذي تمضي فيه الأحداث في هذه البلدان، يمنح الطغمة العائلية المجرمة في سوريا مزيداً من أسباب الصمود. فتعثر الثورات السابقة يقوّي نزعات التشاؤم لدى الشعب الثائر في سوريا. وهي نزعات تتغذى أصلاً على عوامل سورية لا يستهان بقوتها، أهمّها الخوف من الفتنة الأهلية المتعددة الطرف، انتشار السلاح بصورة عشوائية، كثرة اللاعبين العرب والدوليين على الساحة السورية المفتوحة إلى أقصاها، والخوف من انهيار الدولة التي سلّمت الطغمة الحاكمة مصيرها لعصابات الشبّيحة.

لكن عوامل التفاؤل لا تقل عن عوامل التشاؤم قوةً. ليس فقط أن ما يسمّى بمنطق التاريخ هو مع انتصار ثورة الحرية، وأن نظاماً بمواصفات العائلة الحاكمة هذه تجاوزه التاريخ، بل هناك ما هو أهم، أو ما هو التجسيد العملي للمنطق المذكور: إرادة القوة لدى شعب انتصر على الخوف مرةً واحدة وأخيرة. ذلك البريق الغريب الذي تراه في عيون السوريين، يخبرك أنهم أسقطوا النظام منذ تلك التظاهرة الأولى في سوق الحريقة وسط دمشق، في 17 شباط 2011، وهتفوا ملء حناجرهم: الشعب السوري ما بينذل!

لقد ثأر التاريخ للشعب السوري ممن داسوا على كرامته مدى نصف قرن. لم يتهزأ ديكتاتور عربي كما تهزّأ بشار الأسد. لم يواجَه أي ديكتاتور عربي غيره بشعار يلعن فيه الشعب روح أبيه في قبره. لم تتم معاقبة أي ديكتاتور غيره في أمه وأخته وأخت زوجته وزوجة أخيه وأختها، كما فعل الاتحاد الأوروبي مع هذه العائلة. لم تنكشف فضائح البريد الإلكتروني لأي ديكتاتور غيره.

أمام كل هذه البهدلة، لا يزال جلّادوه يرغمون أسراهم على الهتاف بألوهية بشار وأخيه. فإذا بلغ إله أزلام النظام هذه الدرجة من الضعة والهوان، فاعرف أنه ساقط وأن الثورة ماضية نحو نصرها الأكيد.

ملحق جريدة النهار 5 / 5 / 2012

من قال أننا لم ننتصر..

قراءة في الانتخابات الرئاسية المصرية

■ ياسر مرزوق

في ملفنا اليوم نحط رحالنا في مصر الحبيبة، ليس لقراءة العلاقة العضوية التي تربطنا بالشقيقة الكبرى، ولكن لاستقراء المعركة الرئاسية التي تشهدها مصر والتي يتزامن صدور نتيجتها الأولية عشية صدور هذا العدد من سوريتنا، مصر التي شهدت ظهور الدولة منذ ما يقارب الستة آلاف عام، ولم تحظى بحاكم منتخب حتى يومنا هذا، عن "نجيب مَحفوظ" والذي آثرت ذكر اسمه بلا لقب فمن في سوريا لم يدمن قراءته وعن روايته "أمام العرش " ننقل: " انعقدت المحكمة بكامل هيئتها المقدسة في قاعة العدل بجدرانها العالية المنقوشة بالرموز الإلهية وسقفها المذهب تسبح في سمائه أحلام البشر، أوزوريس في الصدر على عرشه الذهبي، إلى يمينه أيزيس على عرشها وإلى يساره حورس على عرشه، وعلى مبعدة يسيرة من قدميه تربع تحوت كاتب الآلهة مسنداً إلى ساقيه المشتبكتين الكتاب الجامع، وعلى جانبي القاعة صفت الكراسي المكسوة بقشرة من الذهب الخالص تنتظر من سيكتب لهم الخلاص من القادمين.... ثم تعقد المحكمة بأمر من أوزوريس والذي ارتأى أنها الساعة الفاصلة، وها هي المحكمة تنعقد من أجل سياحة طويلة في الزمن"... لتبدأ بالملك "مينا " موحد القطرين وتنتهي بالرئيس " أنور السادات " يلقي كل منْ حكام مصر بدفوعه على مسامع الآلهة ولها القرار ليدخل سجل الخالدين، أو باب التافهين أو جهنم....

عاشت مصر تاريخها في ظل أبناء الشمس تارة وأبناء اللّه تارة أخرى ثم توالى عليها خلفاء رسول اللّه وأحفاد المماليك والترك والحكام بأمر اللّه وأحفاد محمد علي لينتهي بها المطاف تحت حكم العسكر، ولم تعرف حاكماً منتخباً يوماً، حتى ترك المصريون أمر محاسبة حكامهم للآلهة، ولا نعني هنا استكانة الشعب المصري وقبوله العبودية، فليس من أمة ثارت كما ثار المصريون، مسجلين في سجل التاريخ تجارب أقرب للديمقراطية لم يكن " سعد زغلول، وعرابي والنحاس باشا " الوحيدين في هذا السجل، كما تأقلم المصريون مع حكامهم واستطاعوا عبر تاريخهم الطويل انتزاع هامش من الحرية يضيق ويتسع، دون أن يجفّ أبداً.

عن الدكتور " جلال أمين " ومن كتابه الثري "وصف مصر " ننقل: " إن المصري بات ينظر إلى اعتلاء السلطة والخروج منها نظرة قد تختلف كلية عن نظرة الشعوب الأخرى، فالأمر في نظر المصري لا يختلف كثيرا عن أي ظاهرة طبيعية، كهبوب العاصفة أو حدوث فيضان أو زلزال، الرجل يحصل على السلطة لأسباب غير مفهومة ويخرج منها لأسباب غير مفهومة أيضا.... والأمر يجب أن يعالج بنفس الحكمة التي تعامل بها الظواهر الطبيعية التي لا سيطرة للإنسان عليها... المسألة كلها في نظر المصري من سنن الكون الطبيعية التي لا يمكن التحكم فيها أو تغيير مسارها لهذا نجد المصريين كثيراً ما ينظرون إلى رجال المعارضة نظرة فيها من الاستغراب والإشفاق، أكثر مما فيها من التأييد أو الاعتراض، وكأن لسان حالهم يقول "انظر إلى هذا الرجل الغريب، الذي يظن أن بالإمكان تغيير الأمور.... ! ".

إلا أن هنالك دائماً أكثر مما يبدو على السطح، فخلال حكم مبارك فقد الشعب المصري قدرته على التأقلم مع الطاغية لأن التأقلم والحالة هذه يعني الموت المعنوي، بالحد الأدنى فالفساد وضياع الهوية والكرامة، وصل مداه، وصرخ الشعب المصري "كفاية" عام 2005 ليرجع الصدى في الميدان عام 2011، عن "محمد حسنين هيكل" ومن كتابه "زمن مبارك من المنصة إلى الميدان "ننقل: "يتبقى أن هناك سؤالاً لا بد أن يصل إلى آذان الجميع: كيف استطاع هذا الرجل أن يجلس على رئاسة مصر ثلاثين سنة، ثم كيف استطاع شعب مصر أن يصبر ثلاثين سنة ؟ وبالنسبة "لكيف" الأولى فالجواب عن سؤالها: إنه حظه طالما استطاع البقاء، وأما "كيف" الثانية فجواب سؤالها: إنها مسئولية الشعب المصري كله لأنه هو الآخر استطاع بالصبر والصمت وإظهار السأم والملل أحيانا، حتى جاءت ثورة 25 يناير 2011 عندما لم يعد الصبر قادراً، ولا الصمت ممكناً، ولا الملل كافياً..."

أتت الثورة المصرية لتسقط آخر الفراعنة، عن الكاتب "صالح إبراهيم الحسن" ومن مقالته الأخيرة "أنت لا تعرف مصر" ننقل: "عندما لاحت في الأفق بوادر الثورة الشعبية المباركة: قال لي زميل بشماتة: ظن المصريون أنهم قادرون على إسقاط نظام جبار، وهم أضعف كثيراً من ذلك، فقلتُ له بالحرف الواحد: سوف ترى، أنت لا تعرف مصر وأهلها وتاريخها: فرد علي ساخراً: دعك من أوهامك، وبعد ظهور بشائر النصر جاء إلي معتذراً "وقد أوردت هذا المقطع لكل الجاحدين بفكرة إرادة الشعوب وقدرتها على التغيير، حتى لو وقفت في وجهها الآلهة.

ولنا اليوم أن نتكلم بما كان يدعيه الإعلام المصري زمن الثورة، عن مؤامرة خارجية ومسلحين مندسين بين الجماهير والتي أثبت الزمن والتحقيقات كذبها فالمؤامرة تكون ضد الشعوب التي تطلب الحرية، فإذا تأملنا بعمق تاريخنا العربي ومساراته والتحديات التي مر بها اكتشفنا كم حاولت القوى الإقليمية أن تعرقل مسار حضارتنا، والحقيقة التي سجلها التاريخ وأكدتها الأحداث عبر رحلة الانتصارات والانكسارات أن المؤامرة هي ضد الشعب المصري، والتي اتضحت بعد نجاح الثورة المصرية بما أحدثت من متغيرات سطرت بها بداية ناصعة لتاريخ يؤكد عزم الشعب على المضي قدما نحو مستقبل جديد.... فالأحداث الأمنية والتفجيرات المفتعلة ظهرت على السطح، والسباق على الرئاسة انحصر في صراع بين الإخوان "من وراءهم قطر" وتيار السلفيين "ومن وراءهم السعودية"، وبين القوات المسلحة، وبين عدد من الشخصيات والتنظيمات الحزبية المستقلة، حتى بدا مصير مصر الثورة شبحاً معلقاً على أفق مستقبل الربيع العربي بأسره، هذه هي اللحظة الخطرة في التاريخ.

إن استعراض القوائم المبدئية للمرشحين لمنصب الرئاسة كان مثيراً للدهشة والاستغراب، فلم يكن فوز الإسلاميين في انتخابات مجلس الشعب بالأمر المستغرب، ولا ترشح قياداتهم للرئاسة بالمستغرب أيضاً فنحن أما حتمية أقر بها الجمع الأكبر من المفكرين والساسة وهي حتمية الصعود السريع للإسلاميين وأفولهم السريع أيضاً، إلا أن الداعي للدهشة والسخرية أحياناً، هو أننا أمام ثورة أسقطت نظام مبارك، وانتخابات مصر الجديدة يتنافس فيها "عمر سليمان" نائب مبارك، و"أحمد شفيق" رئيس وزرائه و "عمر موسى" وزير خارجيته، ويشرف عليها المشير "طنطاوي" وزير دفاعه، إلا أن المصريين والحالة هذه لم يرضوا بنصف ثورة واحتكموا للميدان ثانية، وقال القضاء المصري كلمته وأقصى بعض رموز نظام مبارك، إلا أن القول الفصل سيكون لصناديق الاقتراع.

وتجرى الجولة الأولى من الانتخابات يومي 23 و24 أيار وهناك نحو 50 مليون مصري من بين 82 مليون نسمة يحق لهم التصويت. وطبقاً لما أعلن رسمياً فإن الفرز سينتهي يوم 26 أيار ثم تعقبه فترة تقدم فيها الشكاوى. وستعلن النتيجة الرسمية للجولة الأولى يوم 29

أيار، وفي حالة حصول أي مرشح على أكثر من 50 في المئة من الأصوات في الجولة الأولى فإنه يفوز دون جولة إعادة. وهذا تصور غير مرجح فيما يبدو في ظل كثرة عدد المرشحين لذلك ستجرى جولة إعادة بين المرشحين اللذين يحصلان على أكبر نسبة من الأصوات في 16 و17 حزيران ومن المقرر إعلان النتيجة يوم 21 حزيران. وفي انتخابات مجلس الشعب بلغت نسبة الإقبال نحو 60 في المئة. ويتوقع بعض المحللين أن تزيد النسبة في هذه الانتخابات.

يخوض السباق 13 مرشحا بعد أن استبعدت اللجنة العليا لانتخابات الرئاسة عشرة مرشحين لعدم استيفاء الشروط المطلوبة. ومن بين المستبعدين عمر سليمان المدير السابق لجهاز المخابرات العامة المصرية والذي تولى منصب نائب مبارك لعدة أيام فقط وكذلك خيرت الشاطر نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين التي رشحت بدلاً منه محمد مرسي رئيس حزب الحرية والعدالة الذراع السياسية للجماعة. وأصبح هناك حالياً 12 مرشحاً فعلياً بعد انسحاب أحدهم.

ومن المنافسين الرئيسيين المرشح الليبرالي وزير الخارجية الأسبق في عهد مبارك والأمين العام السابق لجامعة الدول العربية "عمرو موسى" وهو من أشهر الأسماء في سباق الرئاسة وكذلك المرشح الإسلامي عبد المنعم أبو الفتوح الذي تمكن من اجتذاب أصوات من توجهات مختلفة من الليبراليين إلى التيار السلفي و"أحمد شفيق" وهو قائد سابق للقوات الجوية ووزير سابق للطيران المدني وأصبح في الأيام الأخيرة لحكم مبارك رئيساً للوزراء. وينظر لأغلب المرشحين الآخرين على أن فرصهم أقل لكن شعبية المرشح اليساري "حمدين صباحي" تتزايد بسبب بساطته في التواصل مع المواطنين العاديين، وتظهر المؤشرات العامة أن موسى وأبو الفتوح وشفيق يتصدرون السباق. وكان مرسي متأخرا في استطلاعات الرأي لكن ماكينة الدعاية القوية التي تستعين بها جماعة الإخوان المسلمين جرى تكثيفها في الأيام القليلة الماضية بتجمعات حاشدة وإعلانات مكثفة بهدف إقناع ملايين الناخبين الذين ربما لا يحسمون أمرهم إلى أن تحين اللحظة الأخيرة.

فبعد ثورة 25 يناير وقيام المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد لفترة انتقالية حددت بستة أشهر، تأجلت انتخابات الرئاسة المصرية التي كان من المفترض إجراؤها في أيلول 2011، لتبدأ انتخابات مصر رسمياً في نيسان 2012. وبدأ المجلس الأعلى للقوات المسلحة بتعديل بعض مواد الدستور تمهيداً لإجراء أول انتخابات تعددية فعلية في تاريخ مصر، بعد أن كانت انتخابات مصر السابقة التي جرت عام 2005 مجرد إجراء شكلي أنتهى بفوز كاسح للرئيس المخلوع حسني مبارك.

وجرى استفتاء شعبي على التعديلات الدستورية في التاسع عشر من آذار 2011، بالبطاقة الشخصية "الرقم القومي" لأول مرة كبديل عن بطاقات الانتخابات التي تسببت في لغط كبير بعد عمليات التزوير والتدليس التي جرت في انتخابات مجلسي الشعب والشورى 2010 واللذين تم حلهما بمعرفة القوات المسلحة بعد تصاعد الاحتجاجات الشعبية.

وبعد مد الفترة الانتقالية إلى ما يتجاوز العام الكامل، شهدت خلالها البلاد عشرات الحوادث المفتعلة والمدبرة التي تسببت في إزهاق عشرات الأرواح البريئة بداية من محمد محمود وماسبيرو ومجلس الوزراء وانتهاء بمذبحة استاد بورسعيد الرياضي، وبعد انتهاء انتخابات مجلس الشعب والشورى، والبدء في اختيار أعضاء اللجنة التأسيسية التي ستكتب الدستور الجديد لمصر يأتي استحقاق الرئاسة... وكان الأولى إعداد دستور للبلاد وتحديد صلاحيات الرئيس قبل الانتخابات الرئاسية، فالناخب المصري اليوم يطرح تساؤلاً مشروعاً كيف سأختار رئيس جمهورية لا أعرف صلاحياته وما هي مهامه الذي سينفذها للشعب وكيف سيقوم بخدمة الشعب طالما أنه لا يعلم اختصاصاته، في ظل عدم وجود دستور يوضح له مهامه.

هذا وقد أعلنت لجنة الانتخابات الرئاسية القائمة النهائية لمرشحي رئاسة جمهورية مصر العربية لعام 2012، وهم: "عبد المنعم أبو الفتوح عبد الهادي أبو سعد، محمد سليم العوا، محمد مرسي عيسى، حمدين صباحي، عمرو موسى أحمد شفيق، أبو العز حسن على الحريري، حسام خير الله، هشام البسطويسي، عبد الله حسن على الأشعل، خالد علي عمر علي المحلاوي، محمود حسام الدين محمود جلال، وشهرته محمد فوزي عيسى".

وتنص المادة 14 من القانون رقم 174 لسنة 2005 بتنظيم الانتخابات الرئاسية على أنه "لكل من تقدم بطلب للترشيح أن يعترض لدى اللجنة على أي طالب ترشيح آخر، مع بيان أسباب اعتراضه، وذلك خلال اليومين التاليين من تاريخ الإعلان "10 و11 نيسان 2012" وفقا للإجراءات التي تحددها اللجنة".

وفي تقييم للقوى المتنافسة على رئاسة مصر ننقل عن الدكتور عبد المنعم عمارة "هناك ثلاث قوى موجودة أولها تيار إسلامي منقسم على نفسه، ويمثله دكتور عبد المنعم أبو الفتوح ودكتور محمد مرسي ودكتور محمد سليم العوا. وهناك تيار ليبرالي يمثله هشام البسطويسي وحمدين صباحي وخالد علي، وهم أيضا منقسمون على أنفسهم. وهناك من يطلق عليهم رجال النظام السابق وهم عمرو موسى وأحمد شفيق". ورتب عمارة الخمسة الأوفر حظاً في الفوز من وجهة نظره كالتالي: "موسى أو شفيق ثم أبو الفتوح يليهم صباحي وفي النهاية مرسي". وقال: "غالباً سينتهي الوضع بصعود واحد من التيار الإسلامي أمام مرشح عن النظام السابق للجولة الثانية ".

وبسؤاله عن سبب وضعه مرشح الإخوان في ذيل قائمة الأوفر حظا، قال "مرسي ميزته أن وراءه تنظيم محترف. لكن أخطاء الجماعة في مجلس الشعب ثم تخبطهم في طرح مرشح رئاسي أحدث هزة عميقة داخل التنظيم. كما أن رغبتهم في الهيمنة على مقاليد السلطة من برلمان ولجنة تأسيسية ورئاسة بدا ظاهرا للجميع خلال الأشهر الماضية. أرى أن هناك كثيرين فقدوا ثقتهم في الإخوان ".

وكانت استطلاعات الرأي قد وضعت شفيق في المقدمة، مما أثار غضب الكثيرين ممن يرونه أحد أبرز رموز النظام السابق، ويدللون على ذلك بأنه كان آخر رؤساء الحكومة الذين لجأ إليهم مبارك أثناء الثورة لتهدئة الغضب الجماهيري وعلى الأرض، لم يحقق شفيق نتائج تذكر في انتخابات المصريين بالخارج، والتي جرت في الفترة من 11 – 17 أيار الجاري، ووضعت المرشح المستقل أبو الفتوح في المقدمة على مستوى أمريكا وغالبية دول أوروبا، في حين احتل مرشح "الإخوان" الصدارة في دول الخليج، لاسيما المملكة السعودية، صاحبة أضخم كتلة تصويتية للمصريين في الخارج.

إلا أن الإعلان المبكر لنتائج المصريين في الخارج كان خاطئاً، فالمؤشرات قد تحفز الناس أو تحبطهم، وهذا إجراء غير قانوني. فالناخب داخل مصر جائر، وبهذه النتائج، زادت حيرته، إضافة إلى خلل التركيبة المشاركة، والتوزيع غير المتكافئ للمصريين بالخارج، مما أسهم، على سبيل المثال، في استحواذ المملكة السعودية على أعلى أصوات للمصريين من ذوي الميول الدينية، والتي صبت معظمها في اتجاه تيار واحد.

صخب وضجيج وبرامج انتخابية، ووسط الزحام يظهر "عمرو موسى و عبد المنعم أبو الفتوح" في مناظرة تلفزيونية لعرض برنامجهم الانتخابي أمام الشعب، الثورة المصرية نجحت إذاً بالرغم من الشوائب، في عام 3098 قبل الميلاد وبحسب صاحب "قصة الحضارة "قام الملك" مينا" بتوحيد القطرين، والملك المذكور ينتمي للأسرة الفرعونية الرابعة أي أن مفهوم الدولة ظهر في مصر قبل ذلك بكثير، وتوالى على حكم مصر الفراعنة، واليوم يحتكم المصريون للشارع والميدان ولصناديق الاقتراع، ولأقتبس عن هيكل "إن السنين في عمر التاريخ لحظة"، نحن اليوم أمام ديمقراطية متأخرة، ديمقراطية عبقرية ولأقتبس عن جمال حمدان "مصر عبقرية المكان" هي عبقرية المصريين إذا، ولنرجع معاً إلى افتتاحية الزميلة ليلى السمان "من قال أننا لم ننتصر"... إن مجرد ظهور هذه المناظرة هو انتصار بحد ذاته.

كنت قد عقدت العزم على أن أختم الملف اليوم بأبيات من قصيدة "مخطوطة في حب مصر" للراحل الكبير "غازي القصيبي"، إلا أنني عدلت عن إدراج هذه الأبيات، علماً أن قصيدة القصيبي تعبر عن مشاعر كل العرب، فمن منا لا يحب مصر، إلا أن قصيدة للثائر دائماً "أحمد فؤاد نجم "أولى للاحتفال بعرس الديمقراطية، فالتجربة المصرية ليست بالنقاء الذي نرجوه، إلا أن نجاح الشباب الثائر في الوصول، إلى انتخابات تعددية، بعد ستة آلاف عام تقريباً من حكم الرجل الإله، لهو أمر جدير بالاحترام والاحتفال، ولننهي ملفنا اليوم مع الورد اللي فتح في جنان مصر، وكلنا أمل بأن تزهر كل بقاع العالم العربي... نحن نعيش زمن الربيع العربي...

صباح الخير علي الورد اللي فتح في جنان مصر
صباح العندليب يشدي بألحان السبوع يا مصر
صباح الداية واللفة ورش الملح في الزفة
صباح يطلع بأعلامنا من القلعة لباب النصر
سلامتك يامة يا مهرة
يا حبالة يا ولادة يا ست الكل يا طاهرة
سلامتك من آلام الحيض من الحرمان من القهرة
سلامة نهدك المرضع سلامة بطنك الخضرا
هناكي وفرحة الوالدة تضمي الولد يا والدة
يصونهم لك ويحميهم يكترهم يخليهم
يجمع شملهم بيكي يتمم فرحتك بيهم
صباح الخير علي ولادك صباح الياسمين والفل
تعيشي ويفنوا حسادك ويسقوهم كاسات الذل
وبلغ يا سمير غطاس يا ضيف المعتقل سنوي
بصوتك دا اللي كله حماس صباح الخير على الثانوي
وأهلا بيكو في القلعة وبالليل في الطريق جايين
ما دامت مصر ولادة
وفيها الطلق والعادة
حتفضل شمسها طالعة برغم القلعة والزنازين

أوراق مبعثـــرة

■ خالد كنفاني

يعد بلوغ الثورة شهرها الخامس عشر دليلاً قاطعاً على إرادة شعبية صامدة، إلا أنه ورغم كل هذا الزخم الشعبي الذي تعيشه هذه الثورة، فإن طول أمدها ستكون له انعكاسات عديدة على الداخل والخارج السوري لا يمكن إخفاؤها.

لنعد بالذاكرة قليلاً إلى نكبة فلسطين. إن من يقرأ اليوم آراء الصحف في ذلك الحين وكذلك مذكرات من عاشوا تلك المرحلة يرى جلياً ضخامة الحدث وهوله في عيون وأقلام من عاشوه، غير أن المتتبع لمسيرة الكتابات وحجم الاهتمام بالقضية الفلسطينية على عدد من المستويات يرى كيف كان العرب يغرقون في مشاكلهم يوماً بعد يوم حتى أضحت الأحداث في فلسطين جزءاً من روتين حياتهم اليومي، وهكذا اعتاد حتى الفلسطينيون أنفسهم وخصوصاً في الخارج على تعليق بعض الصور والخرائط في منازلهم كدليل على الانتماء الأساسي مع التصفيق الحار لمن يلقي قصيدة فلسطينية أو يعرض فيلماً عن فلسطين، ثم يعود الجميع إلى أعمالهم وحياتهم ويستمرون فيها بينما تستمر القضية كجزء لا بد منه في ديكور حياتنا.

عندما سقط العراق عام 2003 تعرض الوجدان العربي لهزة عنيفة على كل المستويات. ورغم وجود عدد لا بأس به من المعجبين بالرئيس العراقي السابق صدام حسين وخاصة خارج العراق ووجود الكثيرين من أعدائه داخل وخارج العراق، إلا أن سقوط بغداد ودخول الأمريكان إليها كان بالفعل زلزالاً عنيفاً ولم يعد مهماً كثيراً سقوط النظام من عدمه فقد سقط الوطن كله وغرقت البلاد في فوضى عارمة. وبدأ مسلسل التفجيرات والقتل الجماعي في كل المناطق العراقية تقريباً بشكل صدم الجميع. إلا أن الملاحظ أنه ومع مرور الوقت أصبح مشهد التفجيرات الدامية بشكل يومي مشهداً عادياً ويمر في كل نشرة إخبارية مرور الكرام، وهكذا لا يزال مسلسل العنف مستمراً وتحولت المسألة إلى روتين يومي في حياتنا الرتيبة.

نسوق هذا الكلام لا من باب إحباط الثورة في سوريا ولا من باب التقليل من شأنها، ولكنه من المؤسف فعلاً أن تبدأ أحداث هذه الثورة بالتحول إلى جزء لا يتجزأ من روتين حياة الكثيرين وعلى رأسهم السوريين خارج سوريا. فهؤلاء باتوا يرون راحة ضميرهم في تعليق علم الاستقلال في سياراتهم أو الترنم بأناشيد الثورة في منازلهم مع الكثير من الكلام الذي لا معنى له على مواقع الانترنت لنيل صيحات الاستحسان والتبريك. ومن هذا المنطلق كنت ولا أزال أتجرأ على القول بأن لا مصلحة لأحد بانتهاء الأزمة في سوريا وعلى رأسهم المعارضون في الخارج والذين أصبحت الثورة من أهم مصادر رزقهم وشعبيتهم الافتراضية. من المؤسف جداً أن يطلع علينا البعض كل يوم بالحديث عن فنجان قهوة ثورية في منتصف النهار بينما الناس على الأرض يتقاتلون أو يتظاهرون تحت الرصاص. حتى تاريخ اليوم لم يستطع أي من أدباء أو شعراء سوريا أن يخدموا القضية السورية بعمل أدبي واحد، وإنما هي عبارة عن الكثير من الخطب الرنانة والكثير من الصياح والتباكي ولكننا لم نجد إلى اليوم رواية أو قصيدة أو عملاً مسرحياً ينقل شيئاً من الأحداث التي تجري داخل الوطن.

إن الأزمة في سوريا أصبحت أيضاً من روتين الساسة في الغرب والشرق. ورغم كل الزوابع التي اعتاد المسؤولون الغربيون إثارتها من حين لآخر، فإنها تبقى زوابع في فنجان. وهكذا أصبح مشهد أي مسؤول غربي وهو ينتقد النظام في سوريا ويؤكد على أنه لا بد أن يرحل، أقول أصبح كل ذلك مشهداً عادياً في كل المؤتمرات الصحفية وفي النشرات الإخبارية. وهكذا فوجئت مثلاً قناة بي بي سي العربية باختفاء أخبار كل الشرق الأوسط في كل الصحف البريطانية لمعظم أيام الأسبوع الماضي عدا تقرير لجريدة الغارديان عن الأحداث في إدلب. إن كل ذلك يعكس حالة من البرود تجاه الثورة في سوريا وإن كان هذا البرود لا يتم الإعلان عنه بشكل صريح، ولكنه بات جزءاً من كافة البيانات الصحفية ومحاضر الاجتماعات في أغلب المجالات حتى منها تلك التي لا تمت للثورة بأية علاقة.

صار من حقنا بعد كل هذه الشهور الطويلة من التضحيات الكبيرة وبعد كل هذه السنين الضائعة من عمرنا تحت حكم نظام مستبد أن نخاف على مصير هذه الثورة وعلى مصير أبنائها. وهنا يبدو واضحاً حجم الفجوة بين المعارضة والناس في الشارع، حتى أن الكثير من المظاهرات اليوم لم يعد يأتي على ذكر المجلس الوطني أو هيئة التنسيق أو غيرها من التنظيمات الكثيرة والمتعددة بتعدد الشعب السوري نفسه. ووصل الناس إلى قناعة شبه تامة بأن كل المجالس والهيئات والجمعيات المعارضة وغيرها أصبحت بالفعل عبئاً على المعارضة والثورة كما أنها أساءت لصورة الثورة في الخارج بشكل كبير بسبب خلافاتها وتنافسها على مناصب وهمية كمن يتنافس على فراء الدب قبل صيده (بتعبير ميشيل كيلو) وتاهت المعارضة في زحمة التكتلات والشعارات والتجاذبات الدولية والأجندات الخارجية إضافة للإرث الثقيل الذي يحمله كل معارض وفقاً لتجربته الشخصية السابقة سواء في المعتقلات أو المنفى أو حتى من داخل الأجهزة الحكومية السورية.

وجاءت مسألة التسلح لتزيد من الفرقة والتخبط بين أطياف المعارضة وكذلك في أوساط الجماهير الغاضبة والتي لم تعد ترى أن السلمية وسيلة ناجعة لصد وحشية الأجهزة الأمنية. ولكن ذلك لم يكن رأي كل الناس سواء في الداخل السوري أم خارجه، فهناك كثيرون يرون أن التسلح سيضر -وهو قد أضر فعلاً- بالحراك الجماهيري السلمي نظراً لأنه يثبت وجهة نظر النظام بوجود مسلحين يتلقون دعماً خارجياً وهو ما يحدث تماماً اليوم بالانشقاقات التي تحدث بشكل يومي وبوجود دعم واضح من قبل بعض الدول الخليجية التي أعلنت ذلك بكل صراحة، بينما يرى آخرون أن التسلح على العكس لم يشجع الأغلبية الصامتة على الانخراط في المسيرة الشعبية ضد النظام بل على العكس زاد من مخاوفها من انزلاق أكبر نحو حرب أهلية مفتوحة الأطراف والأبعاد. إن التنكيل الذي يتعرض له أصحاب الأقلام والشعارات السلمية اليوم في سوريا أكبر بكثير مما يتعرض له حملة البنادق، وهو ما قلناه في أكثر من مناسبة. ولهذا كان دخول الرصاص على خط المعارضة أمراً محفوفاً بالمخاطر وهو إن حقق بالفعل بعض المكاسب على الأرض إلا أنه يقوم بعزل كل المناطق السورية عن بعضها بحيث تتحول كل منها إلى بؤر مستقلة ولكن متباعدة الأطراف وبدون إمدادات أو معونات حقيقية ناهيك عن انعدام الضمانات بعودة الجزء إلى الكل بعد نهاية كل شيء.

يزيد من تبعثر أوراق الأزمة في سوريا تمدد الحوادث الأمنية باتجاه بلاد أخرى ولعل أولها لبنان ولن يكون آخرها. ورغم كل اللغط الذي دار حول تلك الأحداث خلال الفترة الأخيرة والذي وصل إلى درجة اتهام الجيش اللبناني نفسه بقتل الشيخ عبد الواحد لمجرد معارضته للنظام السوري وهو أمر مستبعد نظراً لإيواء لبنان الكثيرين من اللاجئين والمعارضين على أراضيه ناهيك أساساً عن المشاعر المضطربة تجاه سوريا داخل لبنان، نقول أنه ورغم كل هذا اللغط فإننا يجب أن نفهم أن المرحلة العصيبة التي تمر بها سوريا بشكل خاص والمنطقة العربية بشكل عام منذ احتلال العراق 2003 ولغاية اليوم فرضت حالة من العصبية والتطرف الطائفي بلغت حداً غير مسبوق، ولهذا فنحن نقول إن كل الأمور كان يجري تفسيرها على أسس طائفية أو قبلية أو عشائرية طوال الفترة الماضية والتي حدث فيها انحسار للدولة الوطنية لصالح الطوائف والعشائر بعد أن سبقه انحسار للدولة القومية التي كان يتنادى بها القوميون في الستينات. ولهذا فإن هبوب رياح الربيع العربي على المنطقة ستحمل معها الكثير من التوترات لأن كل مشاكل المجتمع السوري لم تكن تتم مناقشتها إلا بالخفاء وبطرق بدائية إما يائسة محطمة أو مفرطة في التفاؤل دون أدنى موضوعية أو واقعية. ومن هذا المنطلق كنا نرى على الدوام ضرورة إجراء بحث مجتمعي تحليلي معمق لكل مكونات المجتمع السوري ومحركاته الداخلية والخارجية بدلاً من التعامي عنها. إن من أكبر المآخذ على النظام كانت قمعه لأي نقاش اجتماعي وثقافي داخل سوريا وإظهار الأمور بمظهر "الوحدة الوطنية" و"انعدام الطائفية" و"السلم الأهلي"، وهنا تكرر المعارضة اليوم نفس الخطأ تماماً بالتعامي -عن قصد أو بدون قصد- عن الحقائق المجتمعية الراسخة في المجتمع السوري وعلى رأسها المسألة الطائفية والعشائرية لمصلحة خطاب طوباوي رومانسي حالم يتحدث عن سوريا أخرى لم نعرفها مؤكدين بذلك إما جهلهم بحقيقة العلاقات الاجتماعية داخل هذا الوطن أو تعاميهم عن كل ذلك لمصلحة الثورة كما يحلو للبعض أن يتشدق اليوم.

هناك مئات الآلاف من الأسئلة التي يطرحها وسيطرحها السوريون على أنفسهم وعلى غيرهم من ما قبل الثورة وللسنوات القادمة، وعلى كل المعارضين أو من يتصدون للمسؤولية أن يعلموا أنهم مطالبون بالإجابات وإلا فإنهم لن يستحقوا ثقة الجماهير. إن همّنا الأساسي اليوم هو الحفاظ على نقاء الثورة من كل الشوائب التي تعترضها وكذلك -وهو الأهم- تجاوز كل أخطاء الماضي والتركة الثقيلة التي حملها المجتمع السوري ليس لعقود فقط وإنما لقرون سابقة. إن لم نصل بسوريا إلى بر الأمان فلن يكون للثورة من معنى سوى الفوضى ولم يكن من نية للثائرين سوى التخريب وهما أبعد ما يكون عمن يطلب الكرامة ولا يفكر بمصالح شخصية أو يعمل برؤية محدودة الأفق والمصير.

آصف شوكت: احتمالات غياب لا يقصم ظهر النظام

■ صبحي حديدي

ما يـزال الغموض يكتنـف العملية التي أعلنت عنهـا 'كتائب الصحابة'، قبل أيام، وما تزال الأسـئلة تكتنف مصداقية ما تضمّنته من إبلاغ عن مقتل جميع (ثمّ لاحقاً: بعض) أفـراد 'خلية إدارة الأزمة'، وفق التسـمية التي شـاعت منذ أشـهر، واسـتقرّت في أذهان الكثيرين بوصفها اسماً على مسمّى فعلي، وليس توصيفاً مجازياً مثلاً. ومنذ آذار (مارس الماضي)، بعد انشـقاق عبـد المجيد بـركات، الذي تـردد أنـه كان أمين 'الخلية'، تكدسـت معلومات شـتى حول طبيعـة عمل هذه المجموعـة الأمنيـة، والمهـامّ المناطة بهـا، وصلاحياتهـا، وتقاريرهـا اليومية التي قيل إنها تُرفع مباشـرة إلى بشـار الأسد...

كذلك شـاع، أو بات من المسلّم به، أنّ 'الخليـة' تتألف من هذه الشـخصيات: ماهر الأسـد، الشـقيق والقائـد الفعلي للفرقـة الرابعة، والرجـل الثاني الأقوى فـي هـرم النظـام العسـكري؛ آصـف شـوكت، صهـر العائلـة الأسـدية، الذي تقلّـب فـي مناصـب عديدة منـذ توريث بشـار الأسـد، أبرزهـا إدارة المخابـرات العسـكرية؛ اللواء جميل حسـن، رئيس مخابـرات القـوى الجويـة؛ اللـواء علـي مملـوك، مدير المخابـرات العامة؛ اللواء عبـد الفتـاح قدسـية، مديـر المخابرات العسـكرية؛ اللـواء محمـد ديـب زيتون، رئيس شـعبة الأمـن السياسـي؛ العماد المتقاعد حسـن توركماني، وزير الدفاع الأسـبق، والنجـم اللامـع أثناء سـنوات الوفـاق السـوري ـ التركـي؛ العماد علي حبيب، وزير الدفاع السـابق؛ العماد داود راجحة، وزير الدفاع الحالي، اللواء صلاح النعيمـي، رئيس هيئة العمليـات؛ اللواء محمد الشّعار، وزيـر الداخلية؛ هشـام بختيار، رئيـس مكتب الأمن القومي في القيادة القطرية؛ ومحمد سـعيد بخيتان، الأمين القطري المساعد لحزب البعث.

هي 'عظـام رقبة' النظـام، كما قد يقـول المنطق البسـيط، ولا ينقصها إلا عضويـة رئيـس إدارة الأمـن الجنائـي، أو إدارة شـرطة السـير، أو الضابطـة الجمركية، أو الشـرطة العسكرية... حتى يكتمل المطبخ الأمني للنظام، فتسقط صفـة 'الخليـة' عـن هـذه الاجتماعات، لتصبح في منزلة ما، عجيبة غريبة، بين 'المحفـل' العمومي و'المجمع' السـرّي! وشـخصياً، لسـت أخفي ارتيابـي في أنّ هـذه 'الخلية'، فـي توصيفها هـذا على الأقلّ، لا توجد فعلياً على أرض الواقع، أو لا تعمـل ضمن هذه الأولية المحكمة، التي توحي بأنّ النظام ليس متماسكاً ومنسجماً ومتكاملاً، على صعيد مراكزه الأمنيـة العليـا، فحسـب؛ بـل توحـي أيضـاً، أنه نظـام 'عقلانـي' و'ائتلافي' و'مؤسسـاتي'، يعطي لكل مسؤول حقه في الإدارة، ويوكل له صلاحياته.

والحال أنّ نظام 'الحركة التصحيحية' لـم يعمل وفق هذا المنطق في أي يوم، ومـا كان ممكناً له أن يعمـل ـ أمنياً، في المقـام الأوّل، ثمّ عسـكرياً وسياسـياً بعدئـذ ـ اسـتناداً إلـى أية صيغـة تجعل القائد الفرد الأوحـد مجبراً على الرجوع، فما بالك بالخضوع، إلى اجتهادات هذا أو ذاك مـن 'قيادات' النظـام الأدنى مرتبة. تاريخ العشـرات من رفاق حافظ الأسد، ثـمّ وريثه بشـار الأسـد، ممّن سـادوا ذات حقبـة، وبدا أنهم أسـاطين وأعمدة وركائز في معمار النظام؛ قبل أن يتضح أنهـم بـادوا في غمضـة عيـن، وانتهوا إلى سـلال مهملات التاريخ، غير مأسوف عليهـم، ولا أثر يـكاد يبقيهم حتى على الألسن (حكمت الشـهابي، ناجي جميل، علـي دوبـا، علي حيـدر، رفعت الأسـد، محمـد الخولي... أيام الأسـد الأب؛ وعبد الحليـم خـدام، غـازي كنعـان، بهجـت سـليمان، محمد منصورة... أيام الأسـد الابن؛ محض أمثلة على هذه السـيرورة المتصلة).

ذلـك يجعلني أرتـاب فـي أنّ 'خلية إدارة الأزمـة' هذه ليسـت سـوى خرافة، غذّتها مخيّلة تلقائية، بسـيطة بقدر ما هي مشروعة في الواقع، شاءت أن تجمع كلّ هـذه الإدارات والدوائـر والشُـعَب والمؤسسـات الأمنيـة في حلقـة واحدة، وحيدة؛ يُعزى إليها التخطيط لسياسـات النظـام الأمنيـة العليـا، والإشـراف على تنفيذهـا، وتنظيم مختلـف التدابير في سـياق الحل الأمني الـذي اعتمده النظام منـذ بدء الانتفاضة. وبصـرف النظر عن احتمالات نجاح عمليـة 'كتائب الصحابة'، كمـا وُصفـت تفاصيلهـا بعدئـذ؛ وما إذا كان ظهور الشـعار وتوركماني على قيد الحياة، دليلاً على فشـل العمليّة؛ أو كانت المعلومات المتفرقة عـن موت الآخرين، وغيابهـم، دليلاً على نجاحها؛ فإنّ الحلقة الأمنية الفعلية التي تدير سياسات النظام ليست هذه، وليس هذا منطق عملها.

ومـع التسـليم بـأنّ مقتـل أي من أعضـاء 'خلية إدارة الأزمـة'، الافتراضية تلـك، يمكن أن يشـكل ضربـة للنظام، ويمكـن لبعـض الضربـات أن تكـون موجعة؛ إلا أنها لـن تكون قاصمة لظهر النظام، من جهة أولى؛ كما أنها، من جهة ثانية، لن تشـلّ عمل مؤسساته الأمنية، غير المرتبطة دائماً بقياداتها المباشـرة. وقد لا يبالغ امرؤ يفترض أنّ غياب أعضاء 'الخليـة'، مجتمعيـن، لا يسـاوي غيـاب فـرد واحد مثـل ماهر الأسـد؛ ولهذا فإنّ الأخيـر كان غائباً عـن الاجتماع المذكور فـي القيـادة القطريـة، هـذا بافتراض أنه شـارك في أي مـن اجتماعاتها تلك، ذات يـوم! موجعـة، إلـى هـذا، أن تكون العمليـة قـد نجحت في اسـتهداف آصف شوكت، لأسباب أخرى لا تتصل بأنه ركن أساسي في معمار النظام الأمني، وتعود فـي جوهرهـا إلـى موقعه داخـل البيت الأسـدي، ومطامحه السياسية (بالتكافل والتضامـن مع عقيلته، بشـرى الأسـد)، وشـبكات الولاء التي نسـجها في جيوب محددة داخل الطائفـة العلوية (علاقاته بممثلـي المجموعات المرشـدية، بصفة خاصة).

لا يُنسى، في هذا الصدد، أنّ شوكت هبط، مثل طائر الوقـواق، على العائلة الأسـدية حين ارتبطت به بشرى ـ الابنة البكـر، والوحيـدة في العائلـة ـ ورضيت أن تكـون زوجتـه الثّانيـة، سـرّاً ودون موافقة العائلة، وعاشـت معه بعيداً عن القصر الرئاسـي، حتى حسم الأسد الأب الأمر فأعادها وضمّ شوكت إلى الأسرة. وشـاع أنه ما يـزال منبوذاً مـن العائلة، ولم يتردد ماهر الأسـد فـي إطلاق النار عليـه ذات مرّة، إثر شـجار حـول مكانة العمّ رفعت الأسد. وطيلة خمس سنوات رفـض الأسـد طلـب شـقيقته بشـرى تسليم زوجها رئاسـة جهاز الاستخبارات العسـكرية، وكان أعلـى منصب اقترحه عليه هو استخبارات القوى الجوية، الذي رفضه شوكت واعتبرته بشرى إهانة لها.

وليست إعادته من المخابرات العسكرية، إلى نيابة رئيـس الأركان، ثم إلى نيابة وزير الدفاع، إلا المؤشـر على أنّ شوكت ظـل دخيلاً علـى البيت الأسـدي، صهراً فحسـب وليـس عضـواً كامـل الحقوق والمزايا.

وقبـل الانتفاضـة بسـنوات، منـذ اغتيـال عمـاد مغنية فـي ربيـع 2008، تحدثـت تقارير جدّية عـن توتر أقصى بين الأسـدَين، بشـار وماهـر، والصهر شـوكت، تـردّد أنّ الأخير قرّر بسـببها تـرك العاصمـة دمشـق و'الحـرد' فـي ضيعته البعيدة، 'المدحلة'، طيلة أشـهر، حتـى نجحت المصالحة في رأب 'الصدع'. بيـد أنّ اتفـاق شـوكت والأسـد حـول الضـرورات العليـا لأمـن النظـام (وكان ذاك هـو جوهـر المصالحة، لأنـه انقلب إلـى توافـق جماعـي حيـن تنـدرج فيه أدوار ماهـر الأسـد، الأقـوى في صفوف الجيش الكلاسيكي والوحدات العسكرية ذات المهـامّ الأمنيّـة الخاصـة؛ والخـال محمد مخلـوف وأولاده، بارونات اقتصاد العائلـة، وبالتالـي اقتصـاد الاسـتبداد؛ وحفنـة محدودة للغاية من العسـكريين والمدنيين، الأقـلّ رتبـة ومرتبة فقط، ولكن ليسوا أبداً أقل ضرورة في تشغيل آلة السلطة)؛ لم ينقلب إلى انطباق تام، أو تطابق شـامل، حول وسـائل الحفاظ على ذلك الأمن.

ظلـت المؤشـرات تتكاثـر علـى 'افتراقات' في مسـائل سياسية حاسمة، مثل تدهور علاقات النظام مع السعودية ومصر، وما إذا كان الحفاظ على المقدار الراهـن من النفوذ السـوري فـي لبنان يسـتحق كل ذلـك التدهـور مـن جهة، أو أنّ فـي وسـع النظام الصمـود طويلاً فـي المواجهـة الحاليـة، بـل المواجهات القادمـة، العربية أو الإقليمية أو الدولية. هنـا، بالطبع، دخلت الأشـغال والأعمال علـى خطّ الخلاف السياسـي، إذ هل من مصلحـة القيّمين على النهب والفسـاد والاسـتثمار أن تُغلق الأبواب السعودية، وبعدهـا بعـض أبواب الخليـج، في وجه رسـاميلهم وشـراكاتهم وشـركاتهم؟ ملفّ افتراق آخر دار حول حدود العلاقات مـع إيـران، أمنيـاً وسياسـياً وعسـكرياً واقتصادياً، وهل مـن الحكمة أن تنتهي تلك الحدود إلى تحالف، بلا حدود؟

وقـد يسـلّم المـرء (بمـا يسـهل التسـليم به، فـي الواقـع) بأنّ شـوكت كانت لديه أجندة طبيعية شـخصية، في إدامة النفوذ والسلطة والحلفاء وشبكات الولاء، مثله في ذلك مثل تسـعة أعشار كبـار رجـالات 'الحركـة التصحيحيـة'. التالـي، مـن حيـث المبـدأ، هـو أنّ هذه الأجنـدة تصطدم موضوعياً بالمشـروع الإيراني في سـورية: كلما تزايد الرهان الإيراني على بشـار الأسـد، بما ينطوي عليه ذلك من إحاطته أكثر فأكثر بأنصار إيران (ثمة تقارير ذهبت، آنذاك، إلى حدّ ترجيح نجـاح طهران في تشـكيل 'نواة' عسكرية ـ أمنية سورية من هذا الطراز، كفيلـة بـأن تنفّـذ انقلاباً عسـكرياً في التوقيت الملائم)، تناقصت فرص آصف شوكت في تشكيل مركز قوّة / طوارئ، نظير على الأقلّ، إذا لم يطمح إلى موقع البديل، مالئ الفراغ إذا وقع.

صحيح أنه لم يكن في الوسع رصد هـذه الخلافات علانية، بالنظـر إلى أنّ شوكت لم يسـبق له أن خاض في غمار السياسـة علناً؛ إلا أنّ تطـوّرات كثيرة لا يمكـن أن تظـلّ حبيسـة جـدران بيوت السلطة، وثمة دائماً معلومات بالغة الدقة تأخـذ نادراً صفة التسـرّب، ولكنها غالباً تسير مسرى التسـريب عن سابق قصد وتصميـم (صداقات اللواء مـع نخبة من الدبلوماسـيين وضباط الأمن في بعض الدول الغربية، فرنسا وإسبانيا خصوصاً، كانت كفيلـة بتأمين معين لا ينضب من المعلومات). كنّا نعرف، وبتنا اليوم على معرفة أوسـع، وامتلكنـا معلومات أدقّ، حول العلاقة الوثيقة التي جمعت شوكت مع كلود غيان (سـكرتير قصـر الإليزيه فـي تلك الحقبة، وكاتم أسـرار الرئيس الفرنسـي نيكـولا سـاركوزي، وناصحه الأبرز)، على سـبيل المثال؛ حول مسائل جيـو ـ سياسـية بالغة الحساسـية، على رأسها أمن إسرائيل، وما يُسمّى 'الحرب ضدّ الإرهاب'، و'القاعدة' بصفة خاصة.

بهذه المعاني، مترابطة ومتكاملة، يمكن القول إنّ عملية 'كتائب الصحابة'، إذا كانت قد قضت على شـوكت بالفعل، فقد أسـدت للانتفاضة خدمـة ثمينة، إذ أبعدت عن دائرة النظام الأمنية أحد كبار وحوشها؛ ولكنها، في المقابل، لم تسدد للنظام ضربة قاصمة للظهر، إذا لم تكن ـ للمفارقـة، ودون أن تقصد بالطبع ـ قد أراحـت البيت الأسـدي من طائـر وقواق غيـر مرغـوب بـه. أمّـا فـي المحصلـة الجدلية، التي تذهـب أبعد من أثر الفرد في ظواهر التاريـخ الكبرى، فإنّ حضور شـوكت كان متسـاوياً مع غيابه في مآل عظيـم، واحـد على الأقـل: هـذا نظام إلى زوال، وشـيك ومحتـوم، مثل 'عظام الرقبة' فيه... أجمعين!

القدس العربي 24 / 5 / 2012

(حمص) يمّـه يا بهية

رحلـة متخيلـة بصحبـة محمد علـي الأتاسي

■ عبداللّه أمين الحلاق

هذه الرحلـة كان من الممكن لها ألا تكون متخيلة إلى هذا الحد، لو أن حمص اليوم طبيعية بالقدر الذي يسوّقه إعلام مـن دمّرها وأحـال ليلها نهـاراً ونهارها ليـلاً. كان مـن الممكـن فعـلاً أن أتجول مـع محمـد علي الأتاسـي في شـوارعها ونجلـس لنقـرأ الصحـف البيروتيـة في مقاهي رصيفها، كما لازلت أستطيع ذلك في دمشـق. لكن، وبالمقابل، هل كانت حمص عادية وطبيعيـة فعلاً قبل الثورة وقبل أن تمسي عاصمة لها؟

* * *

نسأل واحداً من الأهالي هناك: هل نسـتطيع أن نتجول بحرية ونذهب لنزور ونصور منـزل الرئيس الراحل نور الدين الأتاسـي وعائلتـه؟ هل نسـتطيع زيارة المشـفى الوحيـد الـذي لا يزال يسـعف الجرحـى والمصابين مـن المتظاهرين، مشـفى " الحكمـة " وصاحبتـه شـقيقة الدكتور برهـان غليون، وإجـراء تحقيق ميداني عنه؟

يجيـب: "القناصـة سـيكونون لكم بالمرصـاد، كأن النظـام يقـول: إياكـم والتجـول بحريـة، وبتعبيـر أدق:إياكـم والحرية".

يتحـدث معنـا أبـو أحمـد بخبـرة المجـرّب الـذي خبـر معنـى القناصـة والمـوت والمعـارك التـي شـنها النظام على دير بعلبة وسـقط فيهـا من أقاربه شهداء كثر، يتحدث معي على اعتبار أني لم أعرف في مدينتي " سـلمية " معترك المعـارك الحربيـة التي خاضهـا ولا يزال يخوضهـا نظـام رزمـة الإصلاحـات ضد عاصمة الثورة.

"نحـن هنـا خبرنـا المـوت وعرفناه وشـيعنا قوافل الشـهداء منذ اليوم الأول الذي خرج فيه حي دير بعلبة في تظاهرة مطالبة بإسقاط النظام". يقول أبو أحمد، ثم يستطرد:

"كلية الهندسة البتروكيماوية صارت مقراً رسمياً للقناصة، لدرجة صار التجول الطبيعي في الحي عمليـة انتحارية بحد ذاتهـا، تخـرج لتشـتري الخبز وما شـابه لتعود جثة إلى أهلك وأحبابك".

ديـر بعلبـة متصلـة بالبياضـة وما بعدهـا مـن أحيـاء، كل حمـص صـارت صفـاً مرصوصاً رغم أنف حواجز النظام، إيصـال الجرحـى والشـهداء صـار بحـد ذاته حالة إبداعية لـدى الأهالي مرتبطة بالقـدرة علـى المنـاورة خـارج الحواجز والطرقات الرئيسية في المدينة. النظام يبدع في تكريس الموت والقتل، وأهالي دير بعلبة والبياضة وكل حمص يبدعون في اختراع الأمل والتمسك بخيوط الحياة الغاربة والتأقلم مع ما صار طبيعياً وحالة اعتيادية في حمص المنكوبة.

قذائف ثقيلة على البيوت والمحلات التجارية في دير بعلبة. هلا شرحت لي يا محمد علي الأتاسي قليلاً عن ماهية تلك العصابات المسـلحة التي تمتلك كل تلك الأسلحة الثقيلة، والتي خرجت للعلن في اللحظة التي بدأ النظام السـوري يسوق الحجـج لضـرب حمـص وحمـاه وإدلب... ! نظـام أمني بوليسـي يراقـب ويحصي على الناس أنفاسـهم وحركاتهم، يكذب ويقـول أن ثمة أسـلحة ثقيلة بيـد الثوار والعصابات الإرهابية المزعومة، أسـلحة لا يمتلكها إلا جيشه كما تعرف. إن نظاماً حديدياً ومصمتاً يشاركك الآن قراءة هذا النص وإن بردود فعل ولأسباب مختلفة، لا يمكـن أن تنطلـي أكذوبـة العصابات وتسـلل المسـلحين من الخـارج إلا على الحمقى من مؤيديه، أو بتعبير أدق: على الحمقى مؤيديه.

فـي منتصـف الليـل يـدوي صـوت الرصاص مـن ناحية القناصـة في كلية الهندسـة البتروكيماويـة، نتسـاءل: كلاشـينكوف؟ تجيب أم أحمد: "لا، إنها إم 16.. "، ويجيـب طفـل في السادسـة من عمره: "لا، هاد رشـاش - بي كي سي -". النسـاء صرن يعرفن أسلحة النظام التي تتدفـق نيرانها على ديـر بعلبة وغيرها لكثـرة مـا خبرنهـا ومـا بَكيـن أبناءهن من ضحاياها. الأطفـال كذلك! لم يعرف أطفال حمص على طول العام المنصرم حدائـق هـذه المدينة وملاعبهـا ومدينة الملاهـي فيهـا، بقـدر مـا خبـروا جيداً الرصـاص والقناصة والدمـوع والمقابر وشـعارات الحرية المرفوعة والتي جعلها النظـام متلازمة مع قتله لشـباب حمص ونسـاءها وشيوخها وأطفالها.

* * *

الخالدية.. وما أدراك ما هي يا محمد علي الأتاسي.. ! ساحة حي الخالدية كانت تشهد تظاهرات يومية يشارك فيها مئات مـن مـدن سـورية مختلفـة، مـن حماه ودمشق و... قال لي "حسن":

"هنـا وفي هذه السـاحة التي تراها وقـف شـاب مـن مدينة سـلمية، اسـمه حميد، وهتـف للحرية جنبـاً إلى جنب مع عبد الباسـط السـاروت، وقـال حميد: أنا أبـواي مـن طائفتيـن مختلفتيـن، هـل أنقسـم إلـى شـطرين لكي أؤكـد رواية النظـام عـن طائفيـة الثـورة السـورية وسلفية رجالها؟".

نسـمع صـوت إطلاق نار قـرب جامع سـيدي خالد، ثم تكبيرات وهتافات تشـير إلى سـقوط شـهداء برصـاص القناصة، خلال دقائق معدودة يتم التجهيز لمراسم التشـييع والدفـن الذي يتحول بـدوره إلى مظاهرة حاشدة. هكذا، يكون أحد الرجال المتجولين في الحي قد أمسى، وبضغطة زنـاد، فـي عالم الغيـب. هـذا الرجل كان يحلـم بدايـةً بالحريـة لسـوريا، قبـل أن يصبـح هـمّ النـاس الأول فـي الخالدية ودير بعلبة وحمص وكل سوريا هو تأمين المعونات والإغاثـات للمنكوبين والجرحى وعائـلات الشـهداء، دون أن يعني ذلك أن الإصـرار على المضـي في ثورة الشـعب السوري حتى النهاية قد أصيب بالفتور.

وفـي التشـييع يفتـح الثـوار النـار فـي الهـواء مـن بنـادق آليـة مـن نـوع "كلاشينكوف".

"نحـن لم نحمـل السـلاح إلا عندما صـارت الحيـاة والمظاهـرات السـلمية مسـتحيلة بسبب هذا النظام، بعدين هو عندو دبابات وإحنا كلاشينكوف، ويقلولك عصابات إرهابية مسـلحة؟". يقول واحد من الثوار.

"الثورة بدأت سلمية في درعا وحماه وإدلب وحمص وكل سـوريا، بس الناش مش قادرة تكمل بهالشكل وتتفرج على حالهـا عم تموت يوميـاً من دون ما تدافع عن نفسها". يضيف آخر.

* * *

جـدران كنيسـة أم الزنـار فـي حي الحميدية أصبحت الآن شـفافة، تستطيع أن ترى ما وراءها لكثرة الثقوب والقذائف التـي اخترقتهـا وثقبتهـا. يقـول شـاب متخيَّـل يرافقنـا فـي رحلتنـا المتخيَّلة هذه:

"أيـن هـي العصابـات السـلفية الإرهابية، هل لدى المسيحيين سلفيون وإرهابيون إسـلاميون حتى يُقصف حي الحميدية بالقذائف الثقيلة والهاون؟".

حي الحميدية حي يجـاور الخالدية، يلاصقه تماماً، لكن عليك أن تعبر الشارع الضيق بسـيارة تنطلق بسرعة جنونية، هرباً وخوفاً من رصد القناصة لك. وهو، أي الحميدية، ذو أغلبية مسيحية طاغية، كما لا بد أنك تعرف يا علي..

أنا والتلفزيون والثورة

■ ياسين الحاج صالح

* * *

قطعاً، لن تعجب هذه الفقرة كثيرين يا محمد علي الأتاسي. فأنصار العلمانية السورية ممثلة بـ "سوريا الأسد"، والمدافعين عن نظام القتل السوري علناً أو بتقية تتلطى باحتمالات أسلمة الحراك، لن يكونوا معجبين أو فخورين مثلنا بلافتة رُفعت في دير بعلبة، وقد كتب عليها "إن ربيع العرب حين يزهر في بيروت إنما يعلن أوان الورد في دمشق.. تحية إلى روح الشهيد سمير قصير".

أغلب الظن أن أهالي دير بعلبة لم يقرأوا سمير قصير وكتبه، وتلك مسألة يُسأل عنها، قبل توجيه الاتهام لهم بـ"الجهل والتخلف"، تهميش الريف وأطراف المدن، وسياسة النظام التي لا تزال تمنع كتب شهيد ربيع دمشق وغيره من المفكرين والكتاب من أن تكون في متناول القارئ ومتلقي الأفكار، وحالة الموات السياسي والثقافي والاستنزاف الاقتصادي وغيره من صنائع الاستبداد في سوريا، ما جعل الثقافة والاطلاع على تجارب الآخرين كماليات لا حاجة لها أمام مطلب تحقيق الضروريات حفاظاً على البقاء. للمزيد، لنقارن بين من قرأ سمير قصير من أزلام النظام الذين كتب أحدهم ذات مرة "أخيراً تذكرت السلطة أن لها شعباً" ومن لم يقرأه من المحتجّين المطالبين بربيع سوري، لنعرف أن تلك اللافتة والجندي المجهول الذي صنعها وكتب عليها كلمات الشهيد لترفع في دير بعلبة، لن تُسعد مدمني النظر بفوقية إلى الشعوب المنتفضة، من الجالسين على مقاعدهم الأثيرة في طقوس أريستوقراطية، مع صحيفة سورية رسمية أو قناة فضائية ممانعة لا تمل من التقيؤ على مشاهديها صبح مساء.

* * *

تعرف، يا محمد علي الأتاسي، أنني لست من أنصار المشاعر الظافرية والاحتفال بالموت وإن سميناه شهادة، لكنني لا أملك إلا الانحناء أمام صمود الشعب السوري الذي لا نملك نحن الكتّاب إلا نصوصنا ومقالاتنا الداعمة لثورته نقدمها له.. الموت يخيم على سوريا كشبح خرافي من العصور الغابرة، غير أن إرادة الحياة والانتصار على النظام مهما بلغت التضحيات كفيلة بأن تعطي جرعة تفاؤل بسوريا طبيعية، عادية، حرة، وإن بعد مصاعب جمة وفترات انتقالية صعبة، ومخاطر أمنية مرعبة بعدما نجح النظام في جر المنتفضين إلى التسلح دفاعاً عن النفس، وإرهاصات الاقتتال الأهلي عبر جنون العظمة لدى هذا النظام وإجرامه الذي فاق كل التصورات. كل هذا سوف لن يجعل دمشق بعيدة عن كل تلك التداعيات يا صديقي، وربما ستنعكس الآية التي بدأتُ بها نصي ورحلتي المتخيلة معك، أي ربما ستكون دمشق وحلب وطرطوس و.. حتى مدينتي سلمية.. حمص أخرى، أوإدلب أخرى، أو حماه أخرى. هكذا لن نستطيع قراءة الصحف البيروتية في مقاهي دمشق فقط، بل سنتجول معاً، بعد النصر، في رحلة ربما لن تكون متخيلة كهذه، بل حقيقية لأبعد الحدود. عندها، وبدلاً من أن نلمح لافتة تحيي سميراً في دير بعلبة الصامدة والصابرة، سيكون باستطاعتنا أن نتجول في شارعين يحملان اسمَي عمر أميرالاي أو سمير قصير، باعتبارهما شاهدا عيان على الثورة السورية، وإن في حضرة غيابهما عن كل ما يجري من خراب. خراب لا بد أن تتلوه قيامة وإن بعد حين.

موقع صباح سوريا 25 / 5 / 2012

لم أعرف ما هو الشيء الذي كان الطفل الواقف بالباب يريد استعارته، لكنني فهمت أنه من لوازم التلفزيون. - ليس لدينا تلفزيون، قلت له. - ما عندكم! على شو تتفرجوا؟ تساءل، وهو ينظر إلي بذهول.

وجود تلفزيون في البيت هو جزء من نظام الطبيعة في عين الطفل ذي الثماني سنوات، وفي عين أكثر السوريين. وهو من القطع الثابتة في جميع المنازل، بما فيها الأشد فقرا. يوفر للمتعبين فرصة استرخاء وتسلية، وأداة مساعدة في ضبط الأطفال، ونافذة يطلون منها على أحوال الدنيا. لا أعرف بيتا واحدا ليس فيه جهاز تلفزيون أو أكثر. لكن أصدقاء عارفين يقولون إن بيت الدكتور صادق جلال العظم خلا دوما من هذا الصندوق السحري.

طوال أكثر من عشر سنوات عشنا، زوجتي وأنا، في بيت ليس فيه تلفزيون. كنا اتفقنا على ذلك قبل زواجنا، لكن بإصرار مني أكثر مما بحماسة منها. قلما نتابع الأخبار نحن الاثنين، ونعتمد في القليل الذي نتابعه على الإنترنت.

كان دافعي لحظر التلفزيون هو توفير الوقت طبعا. بدا لي التلفزيون سجنا آخر، يستهلك العمر مثل السجن. وعميل للسلطة أيضا. البث الفضائي وسع مروحة خيارات المتفرجين وأتاح لهم مد البصر إلى خارج بلدانهم، لكن التلفزيون بقي جهازا سياسيا جدا، وشديد التمركز حول السلطة وقضاياها، في العالم العربي على الأقل.

لكن في الأساس كان تطور لدي احتقار للتلفزيون وإجلال للكتب. في السجن كان التلفزيون، وقد أتيح خلال نحو نصف السنوات التي قضيتها فيه، والكتاب الذي أتيح خلال أكثر من أربعة أخماسها، قطبي الحياة اليومية. لكن خلف احتقار للتلفزيون تمتزج فيه البداوة والنخبوية هناك غير قليل من الانسحار به، ولعل خلف الإجلال الظاهر للكتب قدر من نفور.

وأظن أن شاشة الكمبيوتر سهلت علي الاستغناء عن شاشة التلفزيون. وفي غيبة التلفزيون، وتعويضا عنه بقدر ما، كنا نستخدم الشاشة الكبيرة لكمبيوتر سميرة لنتفرج على ما يفترض أنها أفلام مميزة.

كان أصدقاؤنا ينكرون عليّ هذا المسلك المتطرف. الصورة مهمة، يقولون. وكانت سميرة مزدوجة العاطفة حيال الأمر. تحب أكثر مني متابعة الأخبار والأفلام، ولا تريد أن يتعطل زوجها عن أشغاله المهمة. كانت تعرف من التجربة إنه إذا وجد تلفزيون في البيت فربما لا أفعل شيئا آخر غير التفرج عليه. حين كنا نسافر إلى الرقة، كنت أقضي وقتا طويلا مسمرا أمام هذا القفص، أتفرج على مباريات كرة القدم أو التنس، أو على أفلام أميركية، وليس أبدا على أخبار أو برامج سياسية. كان جهلي بكيفية تشغيل التلفزيون أو البحث عن أقنية رياضية أو سينمائية، أو بخاصة كيفية إطفاء الجهاز، موضع تندر لإخوتي، ولا يوفر فراس بخاصة فرصة التهكم من تخلفي، واستعراض سهولة الأمر. يكبس أزرار جهاز التحكم، وهو يقول باستهانة: أهاااا أهه... وعامل لي حالك مثقف!

مساء يوم العاشر من شباط 2011، دعانا صديق وزوجته لنحتفل قبالة شاشة التلفزيون العريضة في منزلهما بالتنحي المتوقع لحسني مبارك. شربنا ليترين ونصف ليتر من النبيذ، ولم تخرج الجملة الذهبية من فم الطاغية العجوز. عدنا إلى البيت منتصف الليل، بعد مقاومة بطولية من جهتي لمحاولة الصديقين تحميلنا جهاز تلفزيون فائضا لديهما.

لكن تتابع الثورات، ومشاهد ميدان التحرير بخاصة، ثم تفجر الثورة السورية بعد شهر وأيام، أضعفت مقاومتي. وكانت سميرة تشعر أنها في حِلّ من التزام متقادم، يعود إلى الأزمنة ما قبل الثورية. بعد نحو أسبوعين من الثورة كان في بيتنا تلفزيون، الجهاز نفسه الذي مانعت مجيئه قبل سبعة أسابيع.

وفي اليوم التالي كان يتملكني شعور بخيانة النفس وأنا أرافق العامل الذي جلب لنا الصحن اللاقط، وركّبه على سطح البناء. لم أكن راضيا، لكن لم أعد قادرا على المقاومة أكثر مما فعلت. لقد أصبحت مقاومة التلفزيون فعلا رجعيا واستباديا لا يمكن الدفاع عنه.

مع ذلك، لست على استعداد لاعتبار مجيء التلفزيون حدثا ثوريا، وإن تكن الثورة هي من شفعت له بالمجيء. سنرى بعد الثورة: أنا أم هو في البيت!

لكن لم أكد أرى شيئا على تلفزيون"نا". في اليوم نفسه أو في اليوم التالي تركت البيت.

في كل المنازل التي أقمت فيها خلال أربعة عشر شهرا من الثورة كان هناك جهاز تلفزيون طبعاً، وفي اثنين منها بشاشة كبيرة. وكان علي أن أتعلم تدبير أموري بالتي هي أسهل للوصول إلى الأقنية التي أريدها.

اليوم التلفزيون شغال ما دمت مستيقظا. أثناء عملي على الكمبيوتر، أو حتى أثناء القراءة. لكن وقت العمل يكون على محطات إخبارية، ووقت القراءة على أقنية سينمائية أو، اليوم، رياضية. في منزلي الحالي لا يلتقط الصحن اللاقط أقنية إلا على الهوتبيرد فقط. وهذا لم تبرمج عليه أية أقنية سينمائية. لكن لدي أكثر من قناة إيطالية لعرض الأزياء، أو بالأحرى لعرض أجساد نساء شابات طويلات القامة، يرتدين من الثياب ما قل ودل. ولأسفي الشديد انقلبت القناة الإيطالية المتخصصة بالتنس إلى قناة إسلامية باللغة الانكليزية!

الثورة السورية لم تضعني في مدار حول التلفزيون فقط، وإنما جعلت مني لبعض الوقت معلقا عبر الهاتف على مستجدات الشأن السوري على بعض الأقنية الفضائية. قلما كنت مرتاحا لتلك الظهورات الصوتية السريعة التي لا يتجاوز أكثرها ثلاث دقائق. وفوق ذلك كان كلامي غير مفهوم حسب أصدقاء كثيرين: أتكلم بسرعة وبصوت خافت، وأقرط بعض الحروف، وأتكلم مثلما أكتب! وهذا أوهن نفسيتي القلقة أصلا، فكان أن تخليت منذ الصيف الماضي عن الهاتف نفسه، وتوقفت عن أداء دور المعلق. لا أرى أني خسرت شيئا، ولا أظن أن أحدا خسر.

ملحق السفير الثقافي 25 / 5 / 2012

إساءة الأمانة في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

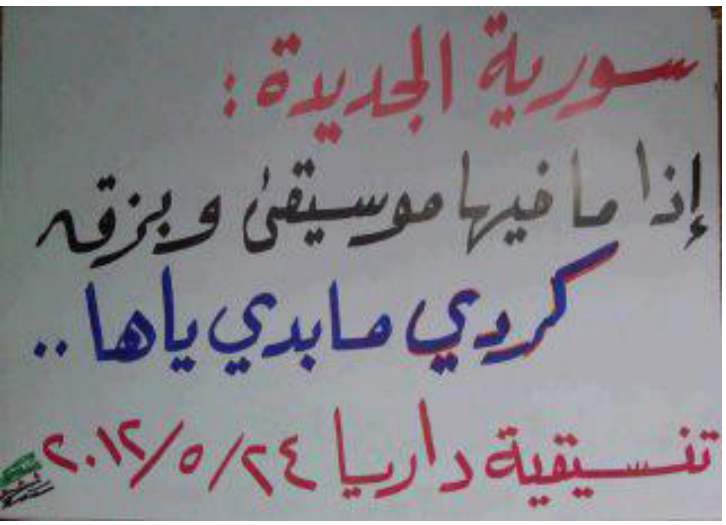

إن جريمة إساءة الأمانة تستهدف الاعتداء على حق الملكية إضراراً بالمالك وطمعاً في أمواله وتتم بكل فعل يدل على أن الأمين اعتبر المال الذي اؤتمن عليه مملوكاً له يتصرف به تصرف المالك في ملكه ويتم اختلاس الأمانة متى أضاف الأمين إلى ملكه الشيء الذي سلم إليه وتصرف به على أنه ملكه أو أنكره على صاحبه، و غالباً ما يتم توثيق ذلك بعقد بين الطرفين يسمى سند أمانة، أو يجري توثيقه أحيانا لدى الكاتب بالعدل، أو في مكتب محام، وذلك ضماناً لصاحب المال باستعادة ماله في المدة المتفق عليها أو حين الطلب.

هذا وقد درجت العادة أن الشخص الذي يريد أن يستأجر سيارة، أو محلاً تجاريًا، أو يشتري منزلاً أو سيارة أو أي شيء آخر ولا يستطيع تكملة ثمنه، أو يريد أن يقترض مبلغاً من المال بفائدة، فإنه يضطر في الغالب إلى تنظيم سندات لصالح المؤجر أو المقرض بقيمة السيارة أو المحل أو قيمة المبلغ المقترض أو قيمة المبلغ المتبقي، وتنظم تلك السندات على أساس أنها سندات أمانة لحين الطلب، فإذا أخل مستأجر السيارة أو المحل بالشروط المتفق عليها كأن يلحق أضراراً بالسيارة ويمتنع عن إصلاحها، أو يمتنع عن دفع أجرة المحل أو تسليمه في الوقت المحدد، أو يتوقف عن دفع فوائد المبلغ المقترض أو يرفض إعادة المبلغ إلى صاحبه، فيلجأ الشخص المنظم سند الأمانة لمصلحته بملاحقة ذلك الشخص بجرم إساءة الأمانة أمام محكمة بداية الجزاء، وفقاً لأحكام المادة 656 من قانون العقوبات السوري التي عاقبت مسيء الأمانة بالحبس من شهرين إلى سنتين وبغرامة تتراوح بين ربع قيمة الردود والعطل والضرر وبين نصفها على أن لا تنقص عن مائة ليرة سورية. ويبدأ سريان مدة التقادم في جرم إساءة الأمانة من تاريخ إنكار الأمانة أو الامتناع عن تسليمها لا من تاريخ تسليم الأمانة.

تعريف إساءة الأمانة قانوناً

عرفها الفقهاء بأنها استيلاء الشخص على منقول يحوزه بناءً على سند مما حدده القانون عن طريق خيانة الثقة التي أودعت فيه بمقتضى هذا السند وذلك عن طريق تحويل صفته من حائز حيازة ناقصة لحساب مالكه إلى مدعي بملكية هذا الشيء. تتميز جريمة إساءة الأمانة بطبيعة خاصة حيث أنها من الجرائم الوقتية التي تقع بمجرد وقوع الفعل الجرمي وتحقق نتيجته.

وتبدأ مدة التقادم على هذا الجرم والتي حددها المشرع بثلاث سنوات كما في الجرائم الجنحوية الوصف من تاريخ إنكاره أو الامتناع عن تسليمها أو من تاريخ وجود دلائل تدل على وقوع الجريمة في وقت معين حسب نص المادة /438/ من قانون الأصول الجزائية: "تسقط دعوى الحق العام ودعوى الحق الشخصي في الجنحة بانقضاء ثلاث سنوات على الوجه المبين في الحالتين المذكورتين في المادة السابقة".

وقد استقر الاجتهاد على ذلك " إن التقادم في جريمة إساءة الائتمان يبدأ من تاريخ الإنكار أو الامتناع عن تسليم الأمانة لا من تاريخ تسليمها" نقض سوري أساس 4830 قرار 1994 قاعدة 1878 استانبولي ج1.

أركان جريمة إساءة الأمانة:

1 - الركن المادي. 2 - الركن المعنوي. 3 - الركن القانوني.

أولاً: الركن المادي:

هو حيازة الشيء بقصد تملكه ويجب توافر عدة شروط لحصول الفعل الجرمي:

1 - وجود عقد الأمانة

2 - إن يكون موضوع إساءة الأمانة مالاً مادياً منقولاً

3 - إن يكون المال مملوكاً للغير

4 - إن يكون التسليم ناقلاً للحيازة

الفعل الجرمي:

هي إرادة الفاعل الذي يعرف أن يده على الشيء المؤتمن عليه يد حيازة ناقصة وقصد تغيير نوع هذه الحيازة وجعلها كاملة جاحدا حقوق المجني عليه ومنكراً لسلطاته على الشيء وإرادة التغيير للحيازة من ناقصة إلى كاملة هي جوهر الفعل الجرمي وتظهر هذه الإرادة للعلن من خلال الأفعال المادية المدللة على تغيير نوع الحيازة وهي كتم الشيء بإخفائه وإنكار وجوده بشكل يجعله عديم القيمة أو بالتمزيق والتبديد والاختلاس أو التصرف بالشيء.

فالنشاط الجرمي يبدأ في اللحظة التي يقوم المدعى عليه بنقل حيازة وملكية الأموال المثلية من لمالك إليه حيازة كاملة.

النتيجة الجرمية:

هي الضرر الذي يترتب على الفعل الجرمي والمشرع لم يعتمد في تحديد مدلول الضرر في جريمة إساءة الائتمان على التوسع في تحديده فلم يفرق بين ضرر مادي وضرر معنوي وضرر حال وضرر محتمل وبين ضرر جسيم وضرر يسير ولا أهمية لكون المدعى عليه قد كسب من فعله أم لا كما أنه لا أهمية في قيام الجريمة لكون المال مملوكا للمجني عليه المتعاقد أم لا.

عناصر الجريمة:

1 - توجيه إنذار من قبل المجني عليه قبل إقامة الدعوى الجزائية لكشف نية الفاعل بوضوح ويعتبر بذلك الإنذار ركناً من أركان جريمة إساءة الائتمان وليس وسيلة من وسائل إثباته حسب نص الاجتهاد المستقر.

2 - عدم إبراء المدعى عليه ذمته بعد توجيه الإنذار له.

ثانياً: الركن المعنوي:

لا بد من توافر القصد الجرمي في جريمة إساءة الائتمان والتي نص عليه في المادة /656/ بالقول " كل من أقدم قصداً على كتم أو اختلاس... ".

لذلك فجريمة إساءة الأمانة من الجرائم القصدية ولا يكفي الخطأ لتحقق النتيجة الجرمية.

تتطلب هذه المادة قصداً خاصاً وهو نية تملك الشيء وهو علم المدعى عليه بفعله بكون المال مملوكاً لغيره وأن يكون الضرر محتملا بفعل المدعى عليه وتوافر إرادة ارتكاب الفعل وتحقق النتيجة وتوافر القصد الخاص من خلال نية تملك الشيء.

أما المادة /657/ تضمنت تعبيراً يفهم منه أن مجرد الخطأ كاف لتوفر الركن المعنوي فقد اكتفى الشارع لتحقيق هذه الجريمة كون المدعى عليه "يعلم أو كان من واجبه أنه لا يمكنه إعادة مثل المال الذي تسلمه".

يتحقق الركن المعنوي وفقاً لهذه المادة بالقصد والخطأ على السواء.

ثالثاً: الركن القانوني:

إن جريمة إساءة الأمانة من الجرائم الواقعة على الأموال حسب نص المادتين /656 – 657/ من قانون العقوبات:

المادة /656/:

كل من أقدم قصداً على كتم أو اختلاس أو إتلاف أو تمزيق سند يتضمن تعهداً أو إبراء، أو شيء منقول آخر سلم إليه على وجه الوديعة أو الوكالة أو الإجارة أو على سبيل العارية أو الرهن، أو لإجراء عمل لقاء أجرة أو بدون أجرة شرط أن يعيده أو يقدمه أو يستعمله في أمر معين يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبغرامة تتراوح بين ربع قيمة الردود والعطل والضرر وبين نصفها على أن لا تنقص عن ألفي ليرة.

المادة /657/:

كل من تصرف بمبلغ من المال أو بأشياء أخرى من المثليات سلمت إليه لعمل معين وهو يعلم أو كان يجب أن يعلم أنه لا يمكنه إعادة مثلها ولم يبرئ ذمته رغم الإنذار، يعاقب بالحبس من ثلاث أشهر إلى سنتين وبالغرامة حتى ربع قيمة الردود والعطل والضرر على أن لا تنقص الغرامة عن ألفي ليرة.

- يتوقف تحريك الدعوى العامة بجرم إساءة الأمانة على ورود شكوى من المجني عليه بحق الفاعل ولا عبرة لجهل مرتكب الجريمة في تحريك الدعوى العامة بحقه.

في حال تعدد المجني عليهم يكفي أن يتقدم أحدهم بالشكوى لتحرك النيابة العامة الدعوى بالنسبة لكامل المال الذي نالته الجريمة.

في النهاية لابد من الإشارة إلى أنه بالرغم من أن المشرع قد حرص على تعزيز الثقة بالأمانة ومعاقبة مرتكبيها حفاظاً على الحقوق وصوناً للمبادئ الإنسانية، إلا أنه ومن خلال التطبيق العملي نجد أن معظم الدعاوى المتعلقة بإساءة الأمانة لا تنطوي في الحقيقة على اقتراف هذا الجرم، بل يتخذ البعض عقد وسند الأمانة كوسيلة ضمان الغاية منه التغطية على معاملات أخرى تمت بين الطرفين كالقرض والدين وفي الأعمال التجارية وغيرها.. مما أخرج النص والعقاب في جريمة إساءة الأمانة عن روحه ومضمونه وهدفه الحقيقي وشغل المحاكم بكم كبير من الدعاوى التي يرد أغلبها لكون العلاقة بين الطرفين هي علاقة تخرج عن مفهوم الأمانة.

كرم الزيتون - المجزرة

■ عروة المقداد

ضغط براحة كفه الضخمة على عيني صفوان، وبالكف الآخر كمّم فمه قبل أن تفلت شهقة مكتومة نفذت من بين اصابعه المتراصة مثل فكي كماشة. في ذلك الوقت من الليل وعلى دوي الانفجارات أيقضه والده من النوم. أثقل النعاس جفنيه وبصعوبة فتحهما فخلل ضوء شمعة مرتجفة رموشه الملتصقة بسائل النوم اللزج، وبالكاد رأى والدته مكللة بالبياض، حيث انسدل ثوب صلاتها على كامل جسدها فارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهه. ومن ورائها كان والده ملتصقاً بطرف النافذة وقد أخذ رأسه يميل يميناً ويساراً مثل رأس مهرج. أراد الضحك لكن الزعقات البعيدة لجمت ضحكته. وشعر أن طيروا برؤوس مفلطحة وأجنحة مخاطية تطير في الفضاء وتفوح منها راحة خوف نتنة.

قبل ساعات غفى على حجر أمه، ومن طرف النافذة لمح كرات النار في العتم تولد وتتوهج وتحرق سواد الليل ومن ثم تنطفئ. نظر إلى شفتيها وهي تبتلع الدوي الهائل ليحل الصمت. صمت كل شيء حوله، وشعر أنها تعيد ابتكار الضجيج على شكل قصة. لم يعد يشعر بالفزع. واستسلم لإيقاع كلماتها التي فتحت له جوف الحي بأزقته التي تشبه الدهليز، حيث المتعة الهائلة في الهروب من الأمن عقب مداهمة المظاهرة، والركض المجنون ومناكدة الأمن بهتافه المفضل: يلعن روحك يا حافظ.

ألبسته معطفاً مهترأ الأطراف. عدة شهور مضت لم تشتري له أي ثياب جديدة، لكن ذلك لم يعد يغيظه. أراد أن يرتدي ثوباً أبيض لكثرة ما شاهده في مئات الجنائز المتكررة في المدينة، وذات مرة عندنا خرج في تشييع أحد الشهداء همس لأمه: أريد أن أرتدي ذات الثوب الذي يرتده! أعجبه اللون الأبيض، وشعر أن الشهيد كالشرنقة، وأنه سيستحيل تحت الأرض إلى فراشة. سأل أمه حينها، هل ثمة فراشات في جوف الأرض يا أمي؟

نظرت في عينه وأطالت التحديق بهما. منذ اندلاع الثورة درجت على تلك العادة. قبل خروجها إلى المظاهرة كانت تضع كلتا يديها على كتفيه وتطيل التحديق بملامح وجهه، وتقول له:

سنخرج للمظاهرة بعد قليل. أريدك حراً. صبرنا على الظلم سنوات طويلة. لا أريد أن تعيش ذات الخوف الذي عشناه. ولا أريدك أن تصبح ظالماً. يا ولدي أن تكون ضحية أرحم مئة مرة من أن تكون الجاني. ستكبر ذات يوم، وتذكر أن هذه الأرض واحدة، وأنه مهما اختلفت أنت وأقرانك فأنتم أبناء بلد واحد، حرمة دمه من حرمة دمنا.

وبعد ذلك كانت ترسم ابتسامة عريضة ومن ثم تمسك بيده وتخرج، وما أن تصل إلى الساحة حيث يجتمع الناس صغاراً وكباراً حتى يفلت من يدها ويضيع في الكرنفال المهيب. لم تعد تركض ورائه كعادتها كلما خرج ليلعب في الأزقة، بل كانت تكتفي بمراقبته من بعيد وهو يهتف ويحرك يديه في الفضاء على كلمات الأغاني التي يرددها شاب اسمه الساروت.

وكان أبو صفوان مازال يستند على طرف النافذة وقد سهى عن المراقبة. شعر بالتعب. وانقبض صدره وشعر بوخزات حادة أسفل صدره. ولم يعرف ماذا يفعل. ودوى انفجار هائل أعاده إلى وعيه فاقترب من أم صفوان وهزها قائلاً:

لم يعد لدينا متسع من الوقت!

ومن ثم ركض نحو الحقيبة الصغيرة التي جمع فيهما بعض الحاجات الضرورية للرحيل. وما أن هم بإمساكها حتى انطلقت زعقة أجفلته في مكانه. كانت حادة ومكتومة واستباحت الهواء مثل مبضع جراح فسال الرعب وملئ زوايا البيت. توالت الزعقات وتقطر الألم في كل مكان. وكان ثمة آلاف الأشباح تتوالد وتخفق في أنحاء البيت. انهمرت الدموع من مقلتيها. شعر أن وجه أمه قد تغير. كبرت ربما. جميلة ما زالت لكن ملامح وجهها أكثر تعباً. مد يده الراعشة فسقطت الدموع بين بيده. شعر أن المسافة طويلة بينهما، لم يدري كم لبثت يده في الهواء. وانقلب الزمن. وتداخلت الوجوه. ولم يعد كل شيء كما كان يبدو. تحركت شفاهه وكأن ثمة ضجيج هائل وأمه تبتسم وتغني. ووالده يرقص بجانبها:

الحجارة صغيرة، وقلبي قنفذ،
أمي فراشة
والزقاق يغني. أبي شجرة،
والمدينة سمائي.
قلبي طلقة. طلقة صغيرة
قلبي حجر. حجر ينبض.

كان صفوان يبتسم وأمه ممسكة بكتفيه تتأمله. وأبو صفوان يراقبهما أراد أن يفعل شيئاً ما لكنه همس في سره: لن نستطيع الهروب!

ربما أدرك تلك الحقيقة، ولكن ماذا سيفعل؟ هل يودعهما؟ بدت له أم صفوان في غاية الجمال؟ أراد أن يعانقها.. ولو كان الأمر بيده لمات بين ذراعيها. هل ينهي تلك المأساة على يديه، هل يقتلهما؟ يا رب الرحمة، يا إله العدل!

وجاء الصوت من خلفه ليكلل ابتهالاته: يا رب. ارحمنا يالله..

انسلت تلك الكلمات كالسكاكين إلى جوفه، وارتدت إلى ذاكرته سيل طويل من الكلمات. ضحكات متناثرة في أطراف الحي تقاسمها مع جيرانه. صباحات كثيرة ألقى فيها التحية باستحياء على نساء ورجال شعر بالامتنان إلى الله لأنه عرفهم. طفل عابث كبر أمام عينه وهو يحلم أن يرفع اسمه في المستقبل يوماً ما.

ترى ما الذي يحدث؟ وشعر أنه خارج جسده الهزيل الذي احتواه طوال سنواته الأربعين. جالت نظراته التائهة في كل مكان. تلمس أطراف جسده. ربما شعر أنه وهم وأن كل ما يحيط به حتى زوجته وطفله لا بد وأنهم وهم. شيء ما خارج تلك القسوة والوحشية، وفكر، كيف من الممكن أن يجتمع ذلك القبح الجمال في ذات الوقت. إن كل رجل وامرأة أنجبا طفلاً لا بد وأن لديهم قدر ما من الجمال يجعلهم جديرين بذلك المخلوق الذي أنجباه. كيف يمكن أن نجمع في أنفسنا ذلك القدر من القبح والجمال في ذات الوقت؟ وكيف يمكننا أن أنقوم بذلك الفعل الوحشي، القتل؟ وخطر على باله أن القتل في المعركة أكثر رحمة من الموت بتلك الطريقة..

اقترب دبيب الأقدام، كان مفزعاً أكثر من صوت جنازير عربات الدبابات. كانت الخطى تدق مسامير لا نهائية في قلبيهما، والتقت نظرتهما بطريقة غريزية واتجهت نحو الباب. وتاهت نظرات صفوان بين والديه. خُلع الباب. وتدفق كراهية عمياء أطبقت على المكان. وقبل أن يلمحها صفوان اندفع والده نحوه وشد كفه على عينيه والكف الأخرى على فمه ورمى به على الأرض وغطاه بجسده كرداء. أراد أن يسد أذنيه أيضاً لكنه لم يستطع. وسمع صفوان ذلك الصراخ الهائل الذي صدر عن والدته. كانت كل القذائف والانفجارات تخرج من فمها وتصم أذنيه.. أراد أن يركض نحوها لكن أباه تشبث به بكلتا ذراعيه. واندفعوا نحو والده ومزقت الطعنات جسده. ارتخت يديه فاستطاع صفوان أن يرى الدهشة على جفني أمه، فصمت كل شيء مرة أخرى.

* * *

كوموا الجثث فوق بعضها. كان ثمة ثقوب تتيح لنسمات الهواء الوصول إلى صفوان لتبقيه على قيد الحياة تحت الكتلة الهائلة من اللحم والدم والبراز والبول، إذ لم تصل الطعنات النافذة التي تلقاها والده في ظهره إليه. وكانت يديه قد أطبقتا على فمه فلم يشعروا بوجوده. أكثر من خمس ساعات مضت والعشرات من الجثث مكومة فوقه. أخرجه أحد سكان الحي صدفة في محاولة البحث عن ناجين. وكان ثمة سيارة تستعد لنقل ما تبقى منهم خارج الحي قبل وصول قوات الأمن العازمة تطهيره. وما أن وضع يديه على كتفه حتى فر عائداً إلى الحي ولم تعيده كل الصرخات المتوسلة بالرجوع.

ابتعدت السيارة وكان صفوان ينظر نحو الغبار الذي أخذت تخلفه وراءها، وما أن خمد الغبار حتى تبدت ملامح الخراب والدمار وبدا أن الحي قد أصبح خاوياً. أجال ناظريه في المكان وسرعان ما رسم الضوء طريق لعبه في الأزقة، حيث صحا صوت الهتاف من الأعمدة المتهاوية ومن السقوف المحترقة ومن الأشلاء المهروسة على الإسفلت... يا محلاها الحرية

وركض دون أن يدري هل كان ذلك حقيقة أم حلم وارتسمت ابتسامة على وجهه، ومن ثم نظر نحو الشمس التي أرسلت أشعتها الدافئة وملئت الأزقة الموشحة بنور أخمد كل الخوف الذي انفجر في صدره.

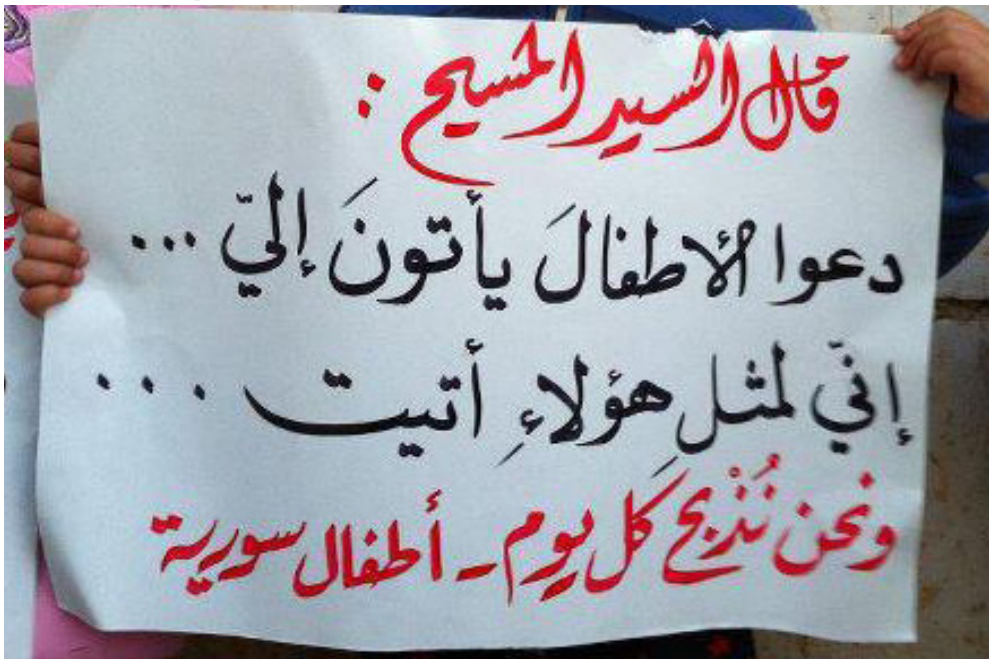

علي رضا باشا الركابي 1886 - 1942

■ ياسر مرزوق

ولد علي رضا باشا الركابي في دمشق في عام 1886، وينتمي إلى أسرة دمشقية عريقة، والتي تعود بجذورها إلى عشيرة الركابي العراقية المعروفة، وقد تلقى الركابي تعليمه الابتدائي في المدرسة الرشيدية العسكرية ومنها انتقل إلى المدرسة الإعدادية، وبسبب تفوقه أرسل على حساب الدولة العثمانية إلى المدرسة الحربية في الأستانة وتخرّج منها برتبة "أميرالاي "رئيس أركان حرب وعُيّن قائداً للجيش العثماني في القدس ثمّ نُقل بعد أن جرت ترقيته إلى رتبة أمير لواء إلى المدينة المنورة والياً لها وقائداً للجيش العثماني المرابط فيها، ثمّ نُقل إلى العراق قائداً للجيش العثماني المُرابط في بغداد والبصرة، وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى عام 1914 م كان رأيه عدم دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب حليفتها الدولة الألمانية والبقاء على الحياد، فصدر الأمر بتسريحه وإحالته إلى التقاعد بعد أن وجهت إليه عدة تهم بالتخاذل وعدم الولاء للدولة العثمانية، فعاد إلى مسقط رأسه دمشق فعيّنه جمال باشا قائد الجيش الرابع في حينه، رئيساً لبلدية دمشق، ورئيساً للتحكيمات وذلك رغبةً من الأخير بالإفادة من علمه وخبرته، و حرصه على وضعه تحت رقابته وقد آثر الركابي قبول هذين المنصبين، كي يدفع عن نفسه الشبهات. فقد كان الرجل في حقيقته من مؤسسي "جمعية العربية الفتاة " و" جمعية العهد ". وهاتان الجمعيتان كانتا أول من زرع بذور القومية العربية في العهد العثماني.

عقب إعلان الثورة العربية الكبرى، ودخول الجيش العربي دمشق، عين رضا الركابي حاكماً عسكرياً للمنطقة الشرقية. ومرافقاً عسكرياً للأمير فيصل، ثم عهد إليه بتشكيل أول وزارة عربية، فتسلم الركابي زمام الأمور، وشكل الوزارة عام 1918 التي ضمت كلاً من " عادل أرسلان، ياسين الهاشمي، بديع المؤيد العظم، فارس الخوري، عطا الأيوبي " ولقب بالحاكم العسكري. واستمرت وزارته سنة وأربعة أشهر تقريباً وعلى إثر الاضطرابات التي افتعلت في جبل لبنان ومناطق متعددة من سوريا، تقدم الركابي باستقالته. عن "أحمد قدري باشا "عن كتابه "مذكراتي عن الثورة العربية" ننقل

زار رضا باشا الركابي الأمير فيصل في صباح 23 كانون الثاني 1920م، وشكا إليه كثيراً من تردي الحالة في البلاد، وقدم الركابي لفيصل كتاباً مؤرخاً في 18 كانون الثاني، شرح فيه أسباب استقالته، وهذا نصه:

"في صباح 10 كانون الأول 1919 استدعاني سمو أخيكم " زيد" إلى داره فتشرفت بحضوره، فسألني عما جرى فتكلمت بما عرفته فأجاب بأن عادل أرسلان ونوري السعيد أخبراه بما جرى في الليلة الماضية ثم سأله –أي الأمير زيد- عن رأيه فأجابه بأن هؤلاء الأشخاص جماعة الفتاة والاستقلاليين، لا صفة لهم ولا يمثلون إلا أنفسهم، لا يهمهم الوطن، ولا دفاعه، ول اتهمهم سوى غايات مكنونة في صدورهم وربما تكون ضد الإمارة مبدئياً وأرى شدة المسؤولية في هذا الباب. وعليه فإني لا أستطيع أن أتبع سياسة الأشخاص غير المسؤولة تحت أي اسم كان، الداعية إلى الفرقة وإماتة الحركة الوطنية في الوقت الذي تحتاج فيه لجمع القوة، والكلمة، كما أني لا أقدر أن أرى حكومة غير مسؤولة، تسيطر على حكومة مسؤولة، تمثيلاً للدور الاتحادي البائد، وأعتقد أن الحكومة التي تسير على رغائب الأشخاص أو الأحزاب غير المسؤولة، فمصيرها ومصير الوطن معها إلى الخراب، وعليه فإما أن يعتمد علي ويعاضدني، لأتمكن من قمع هذه الفوضى قبل استفحالها أكثر مما هي عليه وإما أن يظهر ارتياحه لسياسة المذكورين فأنسحب. فأجابني بأن أكون مطمئناً على حفظ حقوقي فشكرته وانسحبت لداري. وبعد مضي ساعة من عودتي شرف سموه وبرفقته نوري السعيد رافضاً قبول انسحابي لما انسحبت، والآن أقرر ما قلته أولاً فإن رأى لزوماً لوجودي في الحكومة فليعتمد علي ويعاضدني وعندها أعود وإلا فلا عودة لي، وفي النتيجة أمرني بأن أكون مأذونا بينما تتشرف البلاد بعودة سموكم وأوكل عبد الحميد باشا القلطقجي فوكلته من قبلي ثم بعد يومين عين سموه مصطفى نعمة للوكالة حسب رغائب الأشخاص المذكورين وبهذه الصورة تمت الرواية التمثيلية العائدة لشخص عبدكم، وعلى ذلك قاموا وشكلوا الحكومة الحاضرة وسموها الحكومة الدفاعية ولست أعلم شكل الدفاع الذي أحرزوه والثمرات التي اقتطفوها.

سيدي المعظم:

إنه كان من الواجب علي أن أتمم كل شيء وأثبت في مكاني، وأقاوم كل مشاغبة وفوضى لحين تشريف سموكم ولكن خطة نوري السعيد وتمايل سمو أخيكم المعظم إليه وإلى سياسة الأشخاص المذكورين وارتياحه لانسحابي أملاً بما هو أرجح وأنجح، وحراجة الموقف وعدم مساعدة الوقت اضطرني لأن انسحب لكي تتشكل بعدي حكومة تأتي بالخوارق لحفظ الوطن، وتحفظ خطة أقوم وأعدل من خطتي المدونة في مطاوي عريضتي. وإذا أراد أن يستوضح سيدي أكثر من ذلك فإني رهن الإشارة وأرجو الله أن يكلل بالتوفيق والنجاح أعماله ويسعد الأمة على يده ويؤيده بنصر من عنده أنه سميع مجيب. " 18 كانون الثاني 1920م".

ثم تسلم الركابي وزارة الحربية في حكومة الأمير زيد بن الحسين عام 1920، والتي سميت بحكومة المديرين، وعندما أعلن المؤتمر السوري استقلال سورية في الثامن من آذار عام 1920 وسمي فيصل ملكاً على سوريا، عهد للركابي بتشكيل الوزارة للمرة الثانية، وقد جاء في نص التكليف من قبل الملك مايلي: " وزيري السيد رضا الركابي، نظراً لما عرفناه من إخلاصكم وأهليتكم فقد عهدنا إليكم بمنصب رئاسة الوزارة لتشكلوا هيئتها، توصلاً للغاية المقدسة التي ينتظرها كل وطني بفارغ الصبر من إسعاد الوطن ورقيه سياسياً وعمرانياً".

بعد معركة ميسلون غير المتكافئة، ودخول القوات الفرنسية إلى دمشق، وانتهاء العهد الفيصلي، رحل رضا الركابي إلى مصر. وانتقل منها إلى الحجاز. وهناك كلفه الشريف حسين بالذهاب إلى الأردن، لمساعدة ولده الأمير عبد الله بتأسيس وإدارة دولة شرقي الأردن. حيث عهد إليه في الثاني عشر من آذار 1922 بتشكيل الحكومة الأردنية الأولى. وعمل على وضع القوانين والأنظمة المناسبة للدولة الأردنية الجديدة، ولاسيما في نطاق الأنظمة المالية والجهاز الإداري. وفي الثالث من تشرين الأول 1922 دعاه الأمير عبد الله إلى مرافقته في رحلة إلى لندن، لعقد معاهدة بين الأردن وبريطانيا، وبحث الشؤون العربية هناك.

ومكث الركابي مع الأمير عبد الله بعض الوقت. ثم غادر الأمير لندن واستبقى رئيس وزرائه للاتفاق مع وزارة المستعمرات البريطانية على الشكل النهائي لحكومة الأردن. وقد وفق رضا الركابي بالحصول على موافقة بريطانيا على استقلال المنطقة استقلالاً نيابياً، على أن لا يشملها وعد بلفور المشؤوم بإنشاء الدولة الصهيونية على الأرض الفلسطينية. عاد الركابي بعدها إلى الأردن. ثم نشأ بين الأمير عبد الله وبينه خلاف حول بنود هذا الاتفاق، أدى إلى تقديم استقالته من رئاسة الوزراء، إذ أن الركابي كان ينتمي لمدرسة الواقعية السياسية، ويدرك موازين القوى بعكس الملك عبد الله الذي كان لايزال يعيش حلم والده الشريف حسين بمملكة عربية موحدة.

وفي أوائل عام 1924 دعي رضا الركابي ثانية إلى تشكيل الوزارة في الأردن. فاستجاب لهذه الدعوة، وشكل الوزارة ثانية. وظل في منصبه هذا إلى حزيران من عام 1926، حيث استقال، وانتقل للإقامة بين حيفا والقدس طوال سنتين ونصف السنة. وكان الركابي يوم شكل وزارته، قد أعلن في برنامجه الوزاري، العمل بالصدق والإخلاص في القول والعمل، وتوزيع العدالة بين جميع أفراد الشعب، والمراعاة التامة لشؤون الاقتصاد، والاعتماد على الكفاءات في التوظيف، وقمع بذور الفساد، وكل ما يسيء إلى السمعة. ودعا إلى التعاضد والتكاتف في جميع أمور الإصلاح، وصيانة المنطقة من الأحوال المخلة بالأمن.

كان الركابي وهو رئيس للوزراء في الأردن، يدعم الثورة السورية بكل إمكاناته سراً، ويذكي روح المقاومة بين صفوف الثوار. ومن أجل هذا، لم يستطع عقب استقالته من رئاسة الوزارة العودة إلى أرض الوطن، بل آثر الإقامة في فلسطين إلى أن انتهت الثورة، وصدر العفو العام على كل من شارك بالثورة. وكان خلال إقامته في الأرض الفلسطينية، يعيش عيش الكفاف، بسبب فقره وضيق ذات يده. بعد عودته إلى دمشق، ووفاة الملك الهاشمي فيصل الأول، اعتزل الرجل، النزيه، المستقيم، العمل السياسي ولزم بيته، وانقطع عن الناس.

رحل رضا الركابي إلى جوار ربه، في يوم الاثنين الخامس والعشرين من أيار عام 1942، بعد أن عانى من المرض طويلا، وأصيب بالشلل.

شذرات من تاريخ مدينة حمص

■ خالد كنفاني

حمص مدينة عريقة في القدم، يعود تاريخ بنائها إلى سنة 2300 ق. م وهي مدينة داخلية في سورية، وتعتبر المدينة الثالثة بعد دمشق وحلب، واسمها القديم (ايميسا) والمدينة القديمة مدفونة تحت انقاض المدينة الحالية. قيل أن اسمها مأخوذ من لفظ (حمث HMOTH) وهو اسم القبيلة التي سكنتها قديماً، وقيل أن لفظة (حمص HOMS) آرامية ومعناها (الأرض اللينة الوطء) سميت بذلك لوقوعها في السهل، وقيل أن معنى حمص بالآرامية (اشتد، وسخن، وتخمر) وكان أولا معنى حمص بالآرامية وصفاً للشمس، ثم صارت اسماً خاصاً بالآله شمس.

روى المؤرخ يوسيفوس أن (حمث بن كنعان) بنى مدينتين وسماهما باسمه، وميز القدماء بين الاثنتين باللقب فقالوا (حمث الكبرى) حمص و(حمث الصغرى) حماة. ثم بدلت التاء صاداً على عادة الآراميين، وقيل أن آرام بن سام أسسها بنفسه كما روى صاحب معالم وأعلام ص 340.

وحمص بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة (ياقوت الحموي: معجم البلدان مج2 وص30)

ورد اسم حمص (ايميسا) ضمن ما دوّن على رقم مملكة إيبلا إضافة إلى المشرفة (قطنة) وأسماء دمشق ديماشكي وأيماه(حماه) (إيبلا حاضرة زاهرة من الألف الثالث قبل الميلاد). كما تدل ألواح إيبلا التي تعود إلى (2400 - 2250 ق. م) إن تجارتها كانت تمر عبر حمص إلى فلسطين، وأن ملكها آر - انيوم عام 2340 ق. م. كان يعيّن حاكم بيبلوس (جبيل) من أهاليها.

ثم مرت حمص وغيرها من المناطق تحت حكم الرومان والعمالقة والأموريين في العصر البرونزي القديم عام 2300 - 1900 ق. م والعصر البرونزي الأوسط حيث قدم الحثيون من آسيا الصغرى، وخلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر انتشر الحوريون في سوريا ومنطقة حمص مما جعل المصريين يطلقون اسم (خورو) على قسم من سوريا (الموسوعة الألمانية 1966)

بلغت حمص أوج ازدهارها خلال الحكم الروماني، ولمع نجم إله الشمس الذي كان يعبد به الحجر الأسود، وكان كاهن هذا المعبد باسيان وقوراً حكيماً وابنته جوليا دومنا الحمصية الآرامية الجمال، وافرة الذكاء والفطنة، وزوجة القائد الروماني سبتموس سيسفروس ويقال أنه نقل الحجر الأسود من حمص إلى روما تيمناً وأضحى إمبراطوراً من عام 193 - 211 م.

الامبراطورة الحمصية التي حكمت روما

بدأت قصة تولي الحمصيين مقاليد الحكم في روما مع الأمبراطورة الحمصية جوليا دومنا عندما تزوجها القائد العسكري الروماني الليبي الأصل سيبتموس سيفيروس.. فعندما شاءت الأقدار عام 193 م أن يصبح سيبتيموس أمبراطوراً ساعدته هذه السيدة المبجلة (وهذا هو معنى جوليا دومنا) في إدارة شؤون البلاد.

وبشهادة الكثير من المؤرخين كان لجوليا دومنا دور هام في الحياة الثقافية في روما والمقاطعات.. إذ شكلت ما يشبه ندوة ثقافية ضمت نخبة من الفلاسفة والعلماء الكبار في تلك الفترة.. ثم توفي زوجها عام 211 م فتسلم ولداها كاراكالا وغيتا مقاليد الحكم وقيل إنها كانت وراء تعديل قانون الجنسية وإصدار القانون التاريخي الذي يعتبرمفصل في تاريخ الأمبراطورية والذي قضى باعتبار كل رعايا الأمبراطورية مواطنين رومان كاملي الحقوق إلا أن قيام كاراكالا بقتل أخية غيتا في حضرتها وتفرده بالحكم كان سبباً في اعتكافها وزوال دورها في الحياة العامة.

أبواب حمص السبعة

كان لمدينة حمص عند الفتح الاسلامي أربعة أبواب) باب الرستن - باب الشام - باب الجبل - باب الصغير) وفي فترة المنصور إبراهيم جعل لحمص سبعة أبواب وهي:

1. باب السوق: وهو الباب الذي يعتقد أنه باب الرستن وكان يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للجامع النوري.

2. باب تدمر: بقيت من آثاره بعض الحجارة المنحوتة ويعتقد أن موضعه يعود لقبل العصر الاسلامي اذ أن الطريق من حمص إلى تدمر كانت تمر عبره ويقع من الناحية الشمالية الشرقية.

3. باب الدريب: وقد ورد لدى بعض المؤرخين باسم باب الدير ومن الممكن أنه باب الشام ويقع من الناحية الشرقية.

4. باب السباع: ويقع إلى الشرق من القلعة ويفضي إلى المدينة القديمة من الجهة الجنوبية.

5. باب التركمان: يقع في الزاوية الشمالية الغربية للقلعة وحيث تلتقي القلعة مع سور المدينة ولاتزال من آثاره بعض الحجارة ويعتقد أن لاسمه علاقة بسكن القبائل التركمانية في حمص حوالي القرن الحادي عشر الميلادي.

6. باب المسدود: يقع إلى الشمال مباشرة من باب التركمان وقد نقش عليه أن بانيه منصور ابراهيم (637 -644) ويقع في شمال القلعة.

7. باب هود: لم تبقى من آثاره إلا بعض الحجارة ولربما ارتبطت تسميته بمقام النبي هود الذي كان يقع إلى الزاوية الجنوبية منه ويؤكد موضعه على أنه كان دائماً بوابة عبر العصور القديمة لمدينة حمص ويعتقد أنه باب الجبل.

وهناك حي اسمه باب عمرو أو بابا عمرو ومن غير المؤكد أنه الباب الثامن لمدينة حمص وسمي باب عمرو نسبة إلى عمرو بن معد يكرب.

جامع خالد بن الوليد

أثناء قيادته حملة لملاقاة المغول وأثناء سيره من مصر لبلاد الأناضول مر الظاهر بيبرس بحمص وألقى خطبة عند ضريح سيف الله المسلول و أمر، كونه السلطان و أمير المؤمنين، ببناء المسجد و يقوم بتعين أحد مرافقيه وهو فلسطيني من صفد مسؤولا عن المشروع ثم يتابع حملته. و كان ذلك في يوم العاشر من رمضان عام 664 للهجره الموافق ليوم الثلاثاء في 15 تموز عام 1266.

تم بناء المسجد على عجل حتى يكون جاهزا لدى عودة السلطان الظاهر بيبرس من حملته التي استغرقت نحو ثلاثة أشهر و تكللت بنصر ساحق في معركة عرفت بمعركة "سيس" او" سيلسيا" في بلاد الاناضول فعاد مكللا بالغار بعد أن دحر المغول إلى ما وراء جبال طوروس معلنا بذلك النهاية الفعليه لامبرطورية المغول. و يدخل المسجد المبني حديثا و يلقي خطبة تظل ماثلة في الأذهان.

المسجد من ناحيته المعماريه كان متواضعا جدا ربما للسرعة التي تم فيها بناؤه. فقد كان صغيرا تعلوه قبة واحده و كان يضم الحرم بدون فناء خارجي. و لكن الظاهر بيبرس رممه ووسعه فيما بعد. فتم إنشاء سور خارجي صغير بني عليه مئذنة مربعة الشكل اما الزاوية فكانت عبارة عن غرفة صغيرة ملحقة بحرم المسجد وتقع شرقه.

تم بناء القبر بشكل مرتفع من الحجر الكلسي الابيض و تغطيته بقطعة قماشية سوداء.

أما البناء الحالي فيعود تاريخه إلى العهد العثماني في القرن 19 الميلادي أيام السلطان عبد الحميد الثاني حيث أقيم المسجد الجامع على أنقاض المسجد القديم.

ويتميز الجامع الحالي ببناء على الطراز العثماني المتصف بالتناوب بين اللونين الأبيض والأسود في حجارته ممزوجًا بطراز سوري جميل.

أوصاف الجامع

جامع خالد بن الوليد درة جوامع حمص له بناء أنيق يتصف بالجمال والزخارف الكثير، للجامع تسعة قباب بيضاء متباينة الحجم، وبناء متسع وحديقة خارجية تحيط بالجامع ويمتاز بمئذنتيه الرشيقتين العاليتين التي تجاور القباب التسع. يتألف المسجد من صحن واسع (47X36)م وفيه أربع قاعات في جانبه الشرقي. إحداهما أعدت للوضوء.

وأخرى أعدت كمتحف للفن الإسلامي والغرفتان الباقيتان خصصتا حصص لطلاب العلم. أما بيت الصلاة فأبعاده (30. 5X23.)م. تعلوه القباب التسع أعلاها القبة الوسطى قطرها 12 وترتفع 30 متراً. يتصدر بيت الصلاة محاريب ثلاثة زخرف الأوسط منها بالرخام المجزع بأشكال هندسية غاية في الجمال بألوان سوداء وحمراء وبيضاء ويقوم عامودان من الرخام الأبيض الجميل على جانبي كل محراب. أما المنبر فهو من الرخام الأبيض المنقوش والمخرم وباحة صحن خارجي متسع، وقد عني أشد العناية بنموذج البناء للجامع بالأحجار الملونة والزخارف والنقوش البديعة.

مدينة لها هذا التاريخ لن يستطيع أي كان القضاء عليها أو إذلالها، كائنا من كان.

طلقة في العنق تماماً، الجهة اليسرى، خرجت من خلف أذنه اليمنى، ثم وضعوه في صندوق سيارة شقيقته
ثم أوقفت السيارة أمام مشفى الهلال الأحمر، في شارع بغداد، مفتوحة الشباك، أثارت الشكوك
أنواء، فحصوها، لم يجدوا إلا فتى ساحراً، غادرنا رغماً عنه..

ربيع الغزي.. وداعاً.

شام داود

اصمتـوا الآن... فإن أطفال الحولـة لم تنم بعد.. ما تزال عيونها مفتوحة على وسعها من دهشة الموت..
اصمتوا الآن فـإن دموعهم لم تصل إلى وجناتهم.. فهم يهمسون "اللّه يخليك عمو"..
اصمتـوا الآن فإن الألم قد زال وتحل الابتسـامة الواحدة تلو الأخرى فإنهم في حضرة الملائكة...
اصمتوا الآن فإنهم سـيوارون الثـرى قريبا.. ضعوا وردة وقبلة على جبين كل برعم قبل أن تهيلوا التراب..
اصمتوا الآن ودعوا الدمع المالح يرافقهم في رحلة الأبدية.
اصمتوا الآن فإن أرواح موتى ليلانا ملونة كقوس قزح..
اصمتوا الآن..
بعد أن تنتهوا من التشـييع وبعد أن تدفنوهم وتقفلوا أبواب الجنة ورائهم.. غنوا لهم قليلا فالطفل يضحك للموسيقى.
وبعد الغناء والصمت والدمع والصلاة..
انهبوا... عندها يمكن لكم أن تقتتلوا بسلام..

فادي عزام

حتى الجنة سـتحتاج إلى إغاثـة.. ماذا يفعل الملائكة مع هذا الحشد من الأرواح الراكضة على حواف الكواثر؟
ماذا يفعل الملائكة ليخفضوا صخب الأطفال في حدائق اللّه؟
ماذا يفعل الملائكة سوى أن يؤسسوا لهم تنسيقية.
ويصطفـوا جانبهم.. وهم يرفعون لافتـات لأصدقائهم ويتصورون معهم
أصدقائنا اشـتقنا لكـم.. ولكن لا تأتوا إلينـا الآن.. الجنة جميلة وكل شيء رائع لكن لا شيء يعادل سوريا..
أيها اللّه العظيم.. دع أحبابك قليلا بيننا.. اكتفي بمن لديك عصافير تملأ جنتك ضجيجا وتمنع سكانها من النوم.
أيهـا اللّه العظيـم.. خذهـم إنهم هناك يدبـرون الأزمة ويلقّمـون المدافع ويظهرون على الشاشـات إنهم هناك في القصور الجمهورية التي تحولت لقلاع الإبادة..
أيها اللّه العظيم.. نسـتحق العقاب لأننا سكتنا أربعين عاما وكنا بحلف الشيطان الأخرس .. لا تعاقبنا بأطفالنا يا اللّه..

فدوى روحانا

مـن أنا لأعتذر لكـم عن كل من صمت أمـام صريخكم، عن كل عربي تركتم في صقيع وحدتكم، من انا لأعتذر لكم عن كل فلسـطيني ضم صوته لسوط جلادكم؟ من أنـا لأعتذر لكم... ولكنني أعتذر باسـم طفولة لمسـتها ولم تلمسـوها، باسم حياة عشـتها لم تعشوها، أطفال سوريا ستفتقدكم الطفولة وستفتقدكم الحياة...

محمود محمود

يا لبؤسـنا نحـن المسـمّرون خلف الشاشـات... لا نملك سوى نحيب الكلمات الركيكة.

سعد اللّه مقصود

نعم أنا علوي وذُبحتُ مع أطفال الحولة البارحة، ويدي مكسورة من نفس الهراوة التي كسرت يد خالد خليفة، وفي عنقي نفس الرصاصة التي اخترقت عنق ربيع الغزي، وأطالب مثلي مثل كل السوريين في شوارع سوريا بالحرية والقصاص.

راشد عيسى

لا أدري إن كان طفـلاي سـيفهمان هذا الحنـان المباغت الصامت والحزين...

لينا سنجاب

أريـد أن أرى وجه القاتل، أن أعـرف ملامحه، كيف كانت تبدو عيناه وهـو يهاجم الأطفال.. لم تكفـه البندقية، ماذا كان يقول الأطفال لـه وهو يهـوي بسـكينه علـى رقابهـم.. ألـم يسـمع صراخهم؟ بكائهم.. هل تلاقـت أعينهم؟ كم كان عددهم؟ هل قتل كل واحد طفل أم استطاع واحد أن يجهز على أكثر من جسد هش بين يديه؟ لا أسـتطيع أن أرسـم الصورة... في اللحظات الأخيرة.. كيف ركض الأطفال.. بمن اسـتنجدوا؟ صوتهم يتردد في أذنـي... لا أستطيع أن ارسـم ملامح القاتل.. عيـون صغيرة كثيرة أمامـي.. يملأها الفزع والبكاء... أود أن احضنهم جميعاً... أيتامنا... سورية يتيمة.

عمر الأسعد

طالما أنت صامت فدمهم في رقبتك، كل المؤيدين للسفاح بشـار أنتم مسـؤولون عن الجريمة... وهذه ثـورة للحرية والأحرار أما دعاة الأيد فلا مكان لهم فيها... أخبروا أدونيس "الشـاعر الـرديء، والمفكر الرث" وحسـنين هيـكل "دجال الديكتاتوريتيـن الناصرية والأسـدية" ومثقفي النظام من اتحاد الصحفيين لاتحاد الكتاب إلى كل من يؤيد هذا النظام المجرم صغيراً كان أو كبيراً أنه مسؤول عن دماء أطفالنا.

رشا عمران

بعضهـم يطالب القتيـل أن يتخلى عـن إيمانه ولا يجرؤ أن يطالب القاتل بالتخلي عن وحشيته.. السلام عليك يا سوريا... عليك السلام يا سوريا...

خلود زغير

حتى لو قررنا الانتقام.. هل نستطيع؟.. أي إنسان أو ثائر أو حر شريف يستطيع ذبح طفل أو امرأة؟

يوسف أبو قدور

إنهم يقتلونكم لأنكم شـعب ثائر و ليس لأنكم سُـنة، و من يحاول نزع صفة الشعب عنكم و إلصاق صفة السُـنة بكم هو شـبيه القاتل و لا يفرق عنه قيد أنملة.. هو يرى في المجزرة صندوق انتخاب، الشـعب ليس بحاجـة بوصلتكم، هو يعرف عدوه و يعرف قاتله، و لا يعرفكم.... لسـتُ طائفيا و لم أكن و لـن أكون في يوم من الأيام، و لا أسـتطيع أن أصنف الناس وفق طوائفهم مهما حاولـت، و لن أخضع لتصنيفاتكم، حتى لو حفرتم أنتم و زبانيتكم حُفرا في رأسي..
أنـا مواطـن فـي سـوريا المسـتقبل التـي لا تعتـرف بطائفتي، وفي حال أفشلت الثورة سأعود كما كنت نكرة بدون انتماء، أو شهيدا ملفوفا بعلم سوري

عامر مطر

لا تنقلب في سريرك اليوم، حولك جثث الأطفال..

علي قطيفان

فعل القتل ذبحاً لا يأتـي إلا من دوافع عقائديّة.. كُل ما قد حـدث من مجازر ارتبطت بالذبح عبر التاريخ أتت بسـبب العقائد.. لا يستحق "الطائفي" إلا القتل، و التطهير التام للمجتمعات منه أيا كان انتماؤه...

ريما سويدان

علمتنا الثورة الكثير إلا الهدوء والحزن بصمت.
تهديـد.. انتقام.. سـباب.. تحريض على الأخـذ بالثأر.... هـدوء أيها الأصدقاء والأعداء، دعوا هـذه الأرواح تصعد إلى السماء بسـلام متأملة عيونكم الحزينة على فراقها وابتسـامتكم الواعدة بلقاء قريب بالحياة الأخرى. لتكن دموعنا صلاتنا وحزننا تأملنا وفقط... قليل من الهدوء.

محمد حمدان

مـن يقتل أطفال سـوريا.. مجرمٌ مخصـيٌ عقيم لا ينجب أولاد وان كان لديه فهم أبناء رجل آخر.. وما نراه من انتقام وحشي هو انتقام بائس لرجولة ضائعة أو غير مستحقة..

صبحي حديدي

وحوش مجـزرة الحولة قطعان ضباع متعطشـة للدماء، حاقدة غريزيـا، وطائفيا؛ لكنها مذعورة، يائسـة، لاهثة إلى حضيض، مثل النظام الذي تنتمي إليه.

جمال سعيد

اكتب يا بني: أنا البلاد التي تنزف دمها ودموعها... أنا الفجيعة الحية التـي تتجول في الطرقات وعلى فضائيات الدنيا... أنا التـي مددت يدي إلـى قاع البحر وأخرجت صباغـا زينت بلونه الأرجواني الدنيا... أنا التي عجنت التاريخ والشعراء والفلاحين والرعاة والأباطـرة والأديان وخبزتها لهوائي.. أنا سـوريا: لم أعرف من هو أكثر وحشية من هؤلاء المجرمين !
اكتب يا بني: من بين يدي خرج من قال القاتل بالسـيف بالسـيف يقتـل، وابـن... رحمـي مـن قـال: نحـن أهل الرحمة وحولي قالوا أنني الوطن الثاني لأي إنسـان فوق الأرض... سـأرمي الوحوش بعيداً... فقد لطخوا سمعتي واستباحوا اسـمي... وبعدها سـأفرد صدري لكم جميعاً لترضعوا الأحلام والشعر والحرية والكرامة...
اكتـب يا بني: أي طاعـون أنجب رحمك أيتها الأم ؟... لا تخجـل منـي.. اكتب يـا بني.. اكتب أيضـاً أن على أبنائي أن لا يتعاملـوا مع دمـي كماء رخيص.. أنـا لكم.. كونوا لي! اكتب يا بنـي.... ولا تنس... اكتب أني..... سـأعود انتظرنـي لأملـئ عليك محبتـي ووصايـاي كأم مغلولة اليدين.... لا يزال أبناؤها يذبحون على ركبتها.

ميشيل شماس

لأول مـرة أعتـرف بحياتـي علنـاً أن إيمانـي بوجود اللّه ضعيفا. لكن إيماني بانتصار الشـعب السوري هو إيمان عميق... شـعوري بالعجز هذه الليلـة تجاه تلك الدماء التي تسـفك دفعني لأن أقول لأول مرة في حياتي أيضاً وعلناً: "حسبي اللّه ونعم الوكيل"

مها فضيل

حكـي لأطفالنـا حكاية قبل النوم وتبقـى عيونن الحلوة تقـاوم النـوم بدهـا تكفي الحكايـة اليوم صـاروا هنن الحكايـة والعيـون الحلـوة استسـلمت للنـوم ومـا بقى تقاوم بس وحياة البراءة والطهر والخوف على وجوهكن الحكاية ما خلصت الحكاية هلق بديت وقسـما قسـما ما رح ننسـى ورح نحرص أنو ولادنا ما ينسوا مو حقد بس شوية عدالة بهل زمن الظالم.

سعاد جروس

في ذكرى صعود حمزة.. خمسون طفلا يلحقون به على عجل.. وقبلهم مئات الأطفال..
كم كان المسيح مترفا حين قال.. إن لم تعودوا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت السماء..
يـا مسـيح.. طفولتنا ذبحت لـم يعد لدينا أطفـال لنعود مثلهم.... يا مسيح هل بقي متسع في ملكوتك.. ؟

روزا ياسين حسن

ما حـدث يدمي القلوب، لكني لن أجعل النظام السـوري يزجنـي يوما فـي لعبته الطائفية القـذرة. من يقتل هو أداة بيـد الطاغيـة لا طائفة له ولا دين، سـوى أنه قاتل مأجـور لولي نعمته: الشـبيح لا طائفة له سـوى طائفة الموت..
ومـن يذهب ضحيـة القتل هو معـارض لا طائفة له ولا دين، سوى أنه اختار درب الحرية وصراع الطاغية!! أو أنه ضحية بريئة يسـتخدمها النظام لإزكاء فتنته: المعارض لا طائفة له سوى طائفة الحرية.
مـا يريده النظـام جاهداً إدخـال البلد في حـرب طائفية لينفذ وعده: الأسـد أو نخرب البلد، وكم علينا أن نتسـلح بالوعي ضده. والخراب الـذي يريدونه هو تحويل الثورة وحرفها عن آمالنا لنصارع بعضنا البعض فننساه..

هالة جديد

الصامتون... صمتوا الليلة مرة أخرى... أدهشتهم حرفية العمل الجماعي.. خمسـة و خمسـون طفلاً مرة واحدة !!! معقول !!! و عادوا إلى أحاديث الليل و الأراكيل...
ايه سيدي و ين كنّا.... مين بدو يشتري المشاوي بكرة !! لا الحفلة على الضيق.. بتعرف الأوضاع مو خرج...

فضيل نوفل

في نهاية السـنة الدراسية لا تنسوا قراءة أسمائنا وأنتم توزعـون النتائج، نحن أيضاً كنا طلاباً متفوقين. أطفال الحولة.

لينا الطيبي

يقـال يـد واحـدة لا تُصفـق.. وتدعـم الحقيقـة هـذه المقولة.. الشعب السوري وحده أثبت عدم صحتها..
هل شاهدتموه بيد وحيدة يصفق ويصفق ويصفق!!!

خولة يوسف

لا تفارقنـي عيونهـم.. مابين الخوف والخـوف.. كم من العيون ما تزال تُحدق في وجوهنا..

إدوارد سعيد في: الاستشراق المعرفة.. السلطة... الإنشاء

■ ياسر مرزوق

قبل البدء في استعراض كتابنا اليوم أعرض مقطعاً من كتاب "قلب الظلمة" لجوزيف كونراد: "إن فتح الأرض، الذي يعني غالباً انتزاعها من أولئك الذين لهم بشرة مختلفة أو أنوف أكثر تسطيحاً من أنوفنا بقليل، ليس شيئاً جميلاً حين تتأمله بعناية زائدة، وما يغفر له هو الفكرة ذاتها فقط. فكرة تختفي وراءه، لا تظاهر عاطفي، بل فكرة، وإيمان لا أناني بالفكرة، شيءٌ يمكن لك أن تقيمه، وتنحني أمامه، وتقدم له قرباناً.... "

"الاستشراق.. المعرفة.. السلطة.. الإنشاء" كتابنا اليوم، وإدوارد سعيد والاستشراق صنوان لا ينفصلان، على الرغم من قيمة المنتج الفكري لسعيد بأكمله، إلا أن اسم سعيد ارتبط بعنوان "الاستشراق" وهو الكتاب الذائع الصيت حتى عند غير المهتمين بالقراءة، وادوارد سعيد الحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة "هارفرد" مقدسي المولد، أتم دراسته الابتدائية والثانوية في القدس ثم مصر، التي كانت نوافذها في حينه مشرعة للشمس ولكل التيارات الفكرية والثقافية. عن الباحث المصري" خالد سعيد" ننقل: "ادوارد سعيد مفكر وإنسان ومثقف وكاتب وناقد وعلامة... أخرج سعيد قلمه من غمده بمجرد ظهور الشعر على وجهه وأمسك به ولم يتركه حتى وافته المنية".

يمثل كتابنا اليوم جزءاً من ثورة جديدة في الدراسات الإنسانية تضرب جذورها في الماركسية والثورة الألسنية والبنيوية ما يكاد يكون مدرسةً جديدة تنتسب بعمق إلى أعمال "ميشيل فوكو" بشكل خاص، وتتكثف في هذه الثورة مُنطلقات متعددة لعل أهمها أنها تكوّن مفهوماً جديداً للقوة وللشبكة الخفية من علاقات القوة التي تنسجها المعرفة متجسدةً في الإنشاء الكتابي، ومفهوم سياسية العلاقات الإنسانية بكل أشكالها، وسياسية المعرفة، وسياسية البحث، إذ تسيس هذه الثورة الفكرية الوجود الإنساني إلى درجة تفوق حتى ما فعلته الماركسية في تصورها " لاقتصادية " الوجود الإنساني، فهي تبدأ بإضاءة منابع ومكامن للقوة ظلت حتى الآن خارج نطاق الدراسة السياسية ـ الفكرية، مضيئةً العالم إضاءةً جديدة، قادرة على تكوين علم آثار جديد للمعرفة الإنسانية.

والاستشراق ليس كتاباً ينتمي إلى فرع أكاديمي صريح، أو كتاباً في الدراسات الشرق أوسطية، بل هو جهد فكري يقوم فيه كاتبه بفضح زيف تلك الآثار والنصب العظيمة في فروع أكاديمية، أو بتفحص تورط المثقفين في أيديولوجيات سائدة وفي اختلاقات وتلفيقات تخدم سلطة لا شرعية لها.

ويبقى أن الاستشراق كتاب طليعي أحدث صدمة هائلة في أوساط المثقفين والأكاديميين في كل أنحاء العالم. وحتى بعد ربع قرن على صدوره لأول مرة مازال يثير ردود فعل وقراءات نقدية من باب الإعجاب، أو الذم. والاستشراق، كفرع نقدي، لا يزال يفعل فعله عبر وسائل الإعلام الغربية، وأقمار التجسس الصناعية، والاستخبارات، وغيرها. فالدعاية ومراكز الأبحاث الغربية هي الشكل المعاصر من الاستشراق، والبديل التكنولوجي للرحالة أو المغامرين الغربيين.

فمنذ شهور قلائل أصدر روبرت إيروين كتابه "من أجل النهم إلى المعرفة: المستشرقون وأعداؤهم" والذي أثار جدلاً واسعاً في الدوائر المهتمة بالاستشراق في بريطانيا والوطن العربي ليس فقط لأن إيروين متخصص في تاريخ الشرق الأوسط، ولكن كذلك لأنه قال صراحة إنه قرر تأليف كتابه رداً على كتاب "الاستشراق" الذي يعتبر أشهر مؤلفات إدوارد سعيد، وأكثرها تأثيراً والذي اتهم فيه المستشرقين بالعمالة للإمبريالية ووصف دراساتهم عن الشرق بالعنصرية، وهو ما اعتبره إيروين نوعاً من الدجل الخبيث.

وليس أيروين الوحيد بل إن "الاستشراق" منذ تم نشره علم 1977، ووجه بمحاولة كبار المستشرقين وعلى رأسهم برنارد لويس صانع عبارة "صراع الحضارات" تبديد العاصفة التي أثارها سعيد في كتابه والذي اعتبر الاستشراق فرضية سياسية سلطها الغرب القوي على الشرق الضعيف بهدف السيطرة والهيمنة. ناهيك عن الاستعمار والعنصرية.

اشتمل "الاستشراق" على وجوه متداخلة، من العلاقة التاريخية الثقافية بين أوروبا وآسيا، والتي ترجع إلى 4000 عام من ولادة ذلك الفرع العلمي الذي بدأ في الغرب منذ أوائل القرن التاسع عشر، وراح يتخصص المرء على أساسه في دراسة الثقافات والتراثات الشرقية المختلفة... إلى تلك الافتراضات الأيديولوجية، والصور، والاستيهامات المتعلقة بمنطقة من العالم تدعى الشرق. ويقول سعيد " القاسم المشترك بين أوجه الاستشراق، والذي لا يمثل، كما سبق أن رأيت، واقعة من وقائع الطبيعة بقدر ما يمثل واقعة من نتاج البشر، كنت قد أسميتها بالجغرافيا التخيلية ".

قدم لنا سعيد ثلاثة تعريفات للاستشراق يعتمد بعضها على بعض: الأول منها أكاديمي وهو قوله: "فكل من يدرس الشرق أو يكتبُ عنه، أو يَبْحثه سواء في سماتِه العامّةِ أو الخاصة، فهو مستشرق، ومَا تفعله هي أو يفعله هو، استشراق". والتعريف الثاني: "أسلوب من الفكر مستند على تمييز وجودي ومعرفي بين (الشرق) و(معظم الأحيان) (الغرب)". والتَعريف الثالث: "أسلوب غربي للسّيْطرَة على الشرق، وإعادة هيكلته، وامتلاك السلطة عليه".

كما قدم سعيد قائمةَ مِنْ ثلاثة أصنافٍ للمستشرقين. أولها الكاتب الذي ذهب إلى الشرق لتزويد الاستشراق المحترف بمادة علمية أي "الذي يَعتبر إقامته نوعاً من الملاحظةِ العلميةِ". ويؤكد سعيد بأن الرحالة البريطاني" إدوارد ويليام لين"، في كتابه "وصف عادات المصريين المعاصرين وأنماط حياتهم " يعتبر أوضح مثال على هذا الصنف من المستشرقين. والصنف الثاني لدى سعيد، هو الكاتب الذي يَبْدأ بنفس الهدف، لكن اهتماماته الفردية تُسيطرُ على عملِه. ويَعتبرُ سعيد الرحالة البريطاني" ريتشارد بيرتن"، في كتابه "الحج إلى المدينة ومكة" مثالاً جيداً لهذا الصنف. أما الصنف الأخير من المستشرقين فهو الكاتب الذي يرحل إلى الشرق لإرْضاء رغبتِه، "لذا فإن نَصّهِ مَبني على جماليات شخصية". ويُمثلُ له سعيد بالرحالة الفرنسي "جيرار دي نرفال"، في كتابه "رحلة إلى الشرق".

ويرى سعيد أن الشرق شبه اختراع أوروبي وأن الاستشراق ليس مجرد خيال أوروبي متوهم عن الشرق بل إنه كيان له وجوده النظري والعملي وقد أنشأه من أنشأه واستثمرت فيه استثمارات مادية كبيرة على مر أجيال عديدة وقد أدى استمرار الاستثمار إلى أن أصبح الاستشراق باعتباره مذهباً معرفياً عن الشرق شبكة مقبولة تسمح منافذها بتسريب صورة الشرق إلى وعي الغربيين... الإمبريالية السياسية تحكم مجالاً كاملاً من الدراسات والإبداع والمؤسسات البحثية.

كما يرصد سعيد بعض نجوم الفكر والأدب الأوروبيين الذين كانت لهم آراؤهم المحددة بشأن الامتياز العنصري والإمبريالية، ومن اليسير إدراك تأثيرهما في كتاباتهم ومنهم المؤرخ توماس كارلايل /1795 - 1881/ والفيلسوف جون ستيورات مل /1806 - 1873/ والشاعر ماثيو أرنولد /1822 - 1888/ والروائيون جوستاف فلوبير /1821 - 1880/ وتشارلز ديكنز /1812 - 1870/ وجورج اليوت /1819 - 1880/. ويتساءل كيف شارك فقه اللغة ووضع المعاجم والتاريخ والبيولوجيا والنظرية السياسية والاقتصادية وكتابة الروايات والشعر الغنائي في خدمة رؤية الاستشراق للعالم وهي الرؤية التي تعتبر إمبريالية بصفة عامة...

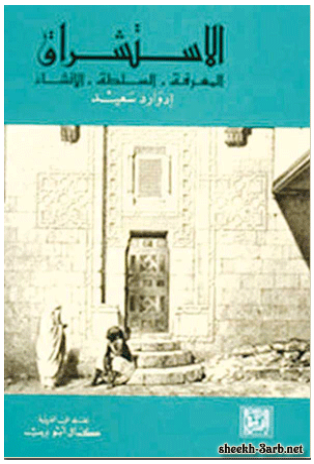

ويرى سعيد أن تاريخ الاستشراق أدى إلى التعصب الشائع في الغرب ضد العرب والإسلام مضيفاً أنه مما يزيد الأمر سوءاً عدم إقدام أي شخص له اهتمامات أكاديمية بالشرق الأدنى على التعاطف الكامل والصادق ثقافياً وسياسياً مع العرب. ولا شك أن بعض حالات التعاطف قد وجدت على مستوى من المستويات لكن أيا منها لم يتخذ في يوم من الأيام الصورة المقبولة التي يتخذها التعاطف الأمريكي الليبرالي مع الصهيونية.

لا شك أن فلسفة الاستشراق كان لها الأثر الأكبر في تكوين الوعي الجمعي الغربي اتجاه الشرق والعرب بوجهٍ خاص لذا كان لابد لكل مهتم من قراءة كتاب" الاستشراق"، الذي يقدم إجابات على الكثير من الأسئلة لفهم علاقتنا مع الغرب، ولاكتشاف سوء الفهم التاريخي الذي أصاب العقل الغربي في نظرته للعرب وقضاياهم العادلة.

قراءة "الاستشراق" لإدوارد سعيد رحلةٌ من نوع خاص، يحفل بمصطلحاتٍ دخلت قاموس العربية للمرة الأولى، وهنا لا بد من الإشادة بالجهد الواضح للدكتور " كمال أبو ديب " الذي نقل الكتاب للعربية، والرحلة مع سعيد قد لا تحمل من المتعة بقدر ما تحمل من الفائدة، وكأن دور الكتاب هنا، أن يدلنا على كتب ومراجع أخرى لتساعدنا على الإحاطة بالموضوع من كل جوانبه، كتاب " الاستشراق " من الكتب التي تتحدى القارئ، ولا تبوح بأسرارها من القراءة الأولى.

تفرجي عليّ

■ سمر يزبك

أطفال الحولة...
من يعيد للمنزل ومقاعد الدرس صخب ضحكاتكم..
أقلام التلوين ستشتاقكم..
ودفتر الرسم كلما إستيقظ فيه الحنين لخربشاتكم..
والقمر المتدلي بخيط من غرة الله سيتعب من إنتظار أيديكم..
لترتفع نحوه و تقطفه مثل تفاحة في المساء..
حجارة الحي سيضنيها الضجر.. ستشتاق لشقاوتكم وفرح التبعثر....

وأنتِ تبتعدين في الغابة، لا تنظري إلى الخلف، ثمة أصوات للريح يفتعلها احتكاك أضلعكِ بحفيف الورق، ستصيرين يا بنت حجراً!

تفرّجي عليّ. انظري وأنا أراقبني، كيف تتعلم الأصابع أن ترتّب تجويفها في الصدر. تتلمس أبعد من عشر أضلاع، ومسافة سنتيمترات قليلة.

تفرّجي عليّ: كيف تركتِ السعادات الموقتة، صانعة سجادة العيش تلك، كيف غزلتِ منها هدوءاً من بعد غضب، وشرعتِ في نسل خيط رفيع، عندما تذكرتِ أنك كنتِ يوماً، امرأة!

ربما كنت طفلة! هل كنت؟

أين يختبئ الأطفال عندما يكبرون، كيف تضيع شيطنتهم في مسارب الزمن؟

هكذا بقيتِ تتفرجين، ونسيتِ أن تكبري. فجأةً كنتِ في الغابة، من حولك الحفيف والفحيح! هل سرقتِ الطفلة من المرأة أم المرأة من الطفلة؟ أيّ خداع توهمين به من حولك، وأنتِ تولين الغابة ثقة الحمقى! لقد صدّقتِ تلك الآلام، وخرّبتِ رأسك. صارت أنتِ.

أنتِ تشاكل سؤال يدقّ عنقكِ، أنتِ البسيطة كغيمة، المركّبة كمجرّة! هذا سبب كافٍ لتكسري المرآة، وتصنعي غابة من زجاج، لا تكفيكِ الحكمة في أول الأربعين. تفرّجي كما يتأمل الثلج صقيعه الحارق، لا تندبي قطعة الفحم.

كيف عادت بكِ أذنات القهر إلى دهشة الخوف، وجرت الدماء فجأةً من سلام الأرصفة؟ وكنت تتأملين مشهداً يكبر عن لوحة شخصيات تنمو في عقلك المريض، بانتحار على طريقة سامواري فاشل، أدمن العيش في ظلال الورق. تعرفين أن لا شيء يرضي هوسكِ الغريب بصناعة حكايات أزمنة وتخاريف. أنتِ المتخفية بظلال مخاتلة عن سيرة حياة غريبة عنكِ، تُوشي بصلف! ترغبين معرفة ماذا يعني مرور التفاصيل التي تجعلكِ تنسكبين من عينيك، وتمرّ أمام الآخرين كريشة؟ ما نوع الحراشف المدوّرة على استطالات البشر؟ ما نوع مجسّاتهم؟

كنتِ تعرفين أنك لا تحلمين بصعود نبتة في الفضاء، تصل بكِ بيت الغول. كنتِ واثقة أنك أردتِ الوصول الى أبعد نقطة في الفراغ، لتتركي جسدك للعماء، وتسبحي في بهجة الصعود، ثم تتركي روحكِ ملقاة في ترف الصورة والحلول.

تفرجي عليّ: قالت أمكِ، إنها ستعيد تدوير بطنها من جديد، وإنك منذورة للتعب، وإنك تمشين على الأرض بألف قدم، ثم تطيرين بغمضة عين. قالت قبل الرحيل؛ إن الأمهات يحلمن بتناسل الحياة، وإن روحك ستحمل إلى سابع جيل في أزمانها اللعنات، وإن قطعة الفحم، لن تتحول الى نثار، ستظل شاهداعلى ذعركِ، وقلق أصابعكِ، حين تصير خناجر كفيكِ.

تفرّجي عليّ، وقد صار العالم فرجة من صيحات الموت والعويل، وقطعة الفحم في الضلوع، لا تحتمل ثقل من خلفتهم وراءكِ للموت! كلما شهقت روح، كنتِ ترتعشين كمصاصة دماء، أنت القاتلة يا شقية!

كيف تركتِ الموتى في العراء؟

كيف تركتِ الأجساد المشوقة المنزوعة الأحشاء، بين ضجيج آلات الحديد وقرقعة الجنازير فوق الإسفلت؟

هل تخيفكِ دبّابة؟ لِمَ كلما لمحتها ارتجفتِ كطير ذبيح؟ لِمَ كلما يمّمتِ وجهكِ شطر وطن من صور، انقصفت ركبتاك، وخرّ ظهركِ عن جذعكِ، وفدّت بوابات الجحيم داخل روحكِ المغلقة على متاهات الوجع؟

تفرّجي واصمتي، فكل ما تلهثين به يخطفه العدم.

تفرّجي، لأني أنا أيضاً، أتفرّج عليكِ، وأراكِ: حفرة سوداء، تمشي بقدمين نحيلتين.

حفرة لا يردمها سوى الموت.

وأنتِ تبتعدين في الغابة، لا تنظري إلى الخلف، ثمة أصوات للريح يفتعلها احتكاك أضلعكِ بحفيف الورق، ستصيرين يا بنت حجراً!

تفرّجي عليّ. انظري وأنا أراقبني، كيف تتعلم الأصابع أن ترتّب تجويفها في الصدر. تتلمس أبعد من عشر أضلاع، ومسافة سنتيمترات قليلة.

تفرّجي عليّ: كيف تركتِ السعادات الموقتة، صانعة سجادة العيش تلك، كيف غزلتِ منها هدوءاً من بعد غضب، وشرعتِ في نسل خيط رفيع، عندما تذكرتِ أنك كنتِ يوماً، امرأة!

ربما كنت طفلة! هل كنت؟

أين يختبئ الأطفال عندما يكبرون، كيف تضيع شيطنتهم في مسارب الزمن؟

هكذا بقيتِ تتفرجين، ونسيتِ أن تكبري. فجأةً كنتِ في الغابة، من حولك الحفيف والفحيح! هل سرقتِ الطفلة من المرأة أم المرأة من الطفلة؟ أيّ خداع توهمين به من حولك، وأنتِ تولين الغابة ثقة الحمقى! لقد صدّقتِ تلك الآلام، وخرّبتِ رأسك. صارت أنتِ.

أنتِ تشاكل سؤال يدقّ عنقكِ، أنتِ البسيطة كغيمة، المركّبة كمجرّة! هذا سبب كافٍ لتكسري المرآة، وتصنعي غابة من زجاج، لا تكفيكِ الحكمة في أول الأربعين. تفرّجي كما يتأمل الثلج صقيعه الحارق، لا تندبي قطعة الفحم.

كيف عادت بكِ أذنات القهر إلى دهشة الخوف، وجرت الدماء فجأةً من سلام الأرصفة؟ وكنت تتأملين مشهداً يكبر عن لوحة شخصيات تنمو في عقلك المريض، بانتحار على طريقة سامواري فاشل، أدمن العيش في ظلال الورق. تعرفين أن لا شيء يرضي هوسكِ الغريب بصناعة حكايات أزمنة وتخاريف. أنتِ المتخفية بظلال مخاتلة عن سيرة حياة غريبة عنكِ، تُوشي بصلف! ترغبين معرفة ماذا يعني مرور التفاصيل التي تجعلكِ تنسكبين من عينيك، وتمرّ أمام الآخرين كريشة؟ ما نوع الحراشف المدوّرة على استطالات البشر؟ ما نوع مجسّاتهم؟

كنتِ تعرفين أنك لا تحلمين بصعود نبتة في الفضاء، تصل بكِ بيت الغول. كنتِ واثقة أنك أردتِ الوصول الى أبعد نقطة في الفراغ، لتتركي جسدك للعماء، وتسبحي في بهجة الصعود، ثم تتركي روحكِ ملقاة في ترف الصورة والحلول.

تفرجي عليّ: قالت أمكِ، إنها ستعيد تدوير بطنها من جديد، وإنك منذورة للتعب، وإنك تمشين على الأرض بألف قدم، ثم تطيرين بغمضة عين. قالت قبل الرحيل؛ إن الأمهات يحلمن بتناسل الحياة، وإن روحك ستحمل إلى سابع جيل في أزمانها اللعنات، وإن قطعة الفحم، لن تتحول الى نثار، ستظل شاهداعلى ذعركِ، وقلق أصابعكِ، حين تصير خناجر كفيكِ.

تفرّجي عليّ، وقد صار العالم فرجة من صيحات الموت والعويل، وقطعة الفحم في الضلوع، لا تحتمل ثقل من خلفتهم وراءكِ للموت! كلما شهقت روح، كنتِ ترتعشين كمصاصة دماء، أنت القاتلة يا شقية!

كيف تركتِ الموتى في العراء؟

كيف تركتِ الأجساد المشوقة المنزوعة الأحشاء، بين ضجيج آلات الحديد وقرقعة الجنازير فوق الإسفلت؟

هل تخيفكِ دبّابة؟ لِمَ كلما لمحتها ارتجفتِ كطير ذبيح؟ لِمَ كلما يمّمتِ وجهكِ شطر وطن من صور، انقصفت ركبتاك، وخرّ ظهركِ عن جذعكِ، وفدّت بوابات الجحيم داخل روحكِ المغلقة على متاهات الوجع؟

تفرّجي واصمتي، فكل ما تلهثين به يخطفه العدم.

تفرّجي، لأني أنا أيضاً، أتفرّج عليكِ، وأراكِ: حفرة سوداء، تمشي بقدمين نحيلتين.

حفرة لا يردمها سوى الموت.

ملحق جريدة النهار 5 / 5 / 2012

شهداء سورية

مجموع الشهداء (11696)

دمشق: 281
ريف دمشق: 1076
حمص: 4536
حلب: 395
حماه: 1468
اللاذقية: 221
طرطوس: 33
درعا: 1195
دير الزور: 432
الحسكة: 76
القنيطرة: 21
الرقة: 49
ادلب: 1905
السويداء: 7

863 عدد العسكريين
10833 عدد المدنيين
468 عدد الإناث
272 عدد الأطفال الإناث
749 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 26 / 5 / 2012
http://vdc-sy.or